الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف–المسيلة–

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي: ...../.....

رقم التسجيل: 1335073016

مذكرة مقدمة ضمن متطلبات نيل شهادة الماستر تخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

بعنوان:

الصراع الإيديولوجي في رواية " في الظلام" لنجيب الكيلاني

إعداد الطالبة:

- إيمان قارة

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

..... الرتبة ..... جامعة المسيلة رئيسا

عمر عليوي الرتبة ..... جامعة المسيلة مشرفا ومقررا

..... الرتبة ..... جامعة المسيلة ممتحنا

السنة الجامعية: 2017–2018م

الإهداء:

بسم الله الرحمان الرحيم

« قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون»

صدق الله العظيم

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك ..ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك ..ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك ..ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك

"الله جل جلاله ".

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة ..ونصح الأمة ..إلى نبي الرحمة ونور العالمين "

" سيدنا محمد صل الله عليه وسلم"

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار.. إلى من علمني العطاء بدون انتظار ..إلى من أحمل أسمه بكل افتخار ..أرجو من الله أن يمد في عمرك لترى ثمارًا قد حان قطافها بعد طول انتظار وستبقى كلماتك نجوم أهتدي بها اليوم وفي الغد وإلى الأبد

والدي العزيز

إلى ملاكي في الحياة ..إلى معنى الحب وإلى معنى الحنان والتفاني..إلى بسمة الحياة وسر الوجود

إلى من كان دعائها سر نجاحي وحنانها بلسم جراحي إلى أغلى الحبايب

أمي الحبيبة

إلى من رافقاني منذ أن حملنا حقائب صغيرة ومعهم سرت الدرب خطوة بخطوة وما يزالاني يرافقاني حتى الآن أسماء مزعاش، مجنح زليخة، وفاء شحام

إلى الأخوة والأخوات، إلى من تحلو بالإخاء وتميزوا بالوفاء والعطاء إلى ينابيع الصدق الصافي...إلى من معهم سعدت، وبرفقتهم في دروب الحياة الحلوة والحزينة سرت، إلى من كانوا معي على طريق النجاح والخير إلى من عرفت كيف أجدهم وعلموني أنّ لا أضيعهم أصدقائي، إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل.

الطالبة: قارة إيمان

htpp://www.myhouseonweb.eu/
MY HOUSE ON WEB

مقدمة

مقدمة:

يعّد النص السّردي من أكثر النصوص الأدبية استحضارا للمعالم التاريخية، وللمظاهر الاجتماعية والأنساق الفكرية الإيديولوجية، فالرواية نوعاً من أنواع السرد القصصي، وتحتوي على خصائص فنية جعلتها تتميز عن غيرها من النصوص، وقد نشأت مع البواكير الأولى لظهور البرجوازية؛ هذه الأخيرة التي اتخذت الرواية للتعبير عن الصراعات الإيديولوجية، ومما لاشك فيه أن الصراع يعد ظاهرة لا محيصا عنه ويحدث في كل مستويات الحياة سواء الشخصية أي الجانب النفسي، أو العامة للبشرية وعلى جميع المستويات، فإن للصراع خصائص وديناميكيات تُعنى به، فكانت الرواية تعبر عن فكرها وقيمّها وحرياتها، تسعى كل منها للسيادة والانتشار معارضة الإيديولوجيا النقيضة لها. فارتباط الرواية بالإيديولوجيا تتوزعه اهتمامات بين عدة حقول معرفية، لاسيما العلوم الإنسانية باستفادتها من الأبحاث الفلسفية والسوسيولوجي وغيرها.

ويطرح البحث إشكالية تدور حول الصراع الإيديولوجي، أشكاله ومضامينه وإبراز تجلياته في رواية " **في الظلام**"، للدكتور **نجيب الكيلاني** وعلى هذا الأساس كان سبب اختياري لهذا الموضوع هو بيان معرفة نتائج الصراعات الإيديولوجية، وأيضا إلى رغبتي الملحة على الكشف عن بعض الجوانب التي تربط الأدب عموماً والرواية خصوصا بالإيديولوجيا.

من هذا المنطلق يطرح التساؤل التالي:

– كيف صور نجيب الكيلاني الصراع بصفة عامة والصراع الإيديولوجي بصفة خاصة في الرواية؟ وإلى أي مدى استطاع الكاتب إيصال أشكال هذا الصراع للمتلقي؟

وتتفرع عن هذه الاشكالية مجموعة من الأسئلة ألخصها كالأتي:

– ما مفهوم الإيديولوجيا في خضم الآراء المتباينة لدى المفكرين والباحثين عبر مختلف حقولهم المعرفية والفكرية؟ وهل يمكن إيجاد مفهوم واضح محدد لها؟

– ما مدى استيعاب الرواية للأيديولوجيا؟

– ما هي تجليات الصراع الإيديولوجي في الرواية؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة أرتأيت أن أقسم موضوع البحث إلى مقدمة وفصلين وخاتمة؟

الفصل الأول الموسوم بـ: المجال المفهومي للصراع و الإيديولوجيا في الرواية، وقد سار البحث فيه على ثلاثة مباحث، كان أولها بعنوان مفهوم الصراع، حاولت من خلاله الوقوف على المفهوم اللغوي والاصطلاحي، وانتقلت بعدها إلى التعريف بمصطلح الإيديولوجيا لغة؛ في المعاجم والقواميس والموسوعات العالمية، ثم التعريف إصطلاحاً عند مختلف المنظرين ونقاد العرب والغرب، وفي المبحث الثالث تحدثت فيه عن الإيديولوجيا وعلاقتها بالأدب والفرق الذي يكمن بين الرواية كإيديولوجيا وإيديولوجيا الرواية.

أمّا **الفصل الثاني** فخصصته للجانب التطبيقي وعنونته بـ: تجليات الصراع الإيديولوجي في رواية " **في الظلام**"،وقد قسمت هذا الفصل بدوره إلى مبحثين، تعرضت في المبحث الأول إلى تحديد السياقات الإيديولوجية في الرواية النموذج بنوعيها النفعي، وإيديولوجيا الرفض والتغيير، أما المبحث الثاني فتحدثت فيه عن تجليات الصراع الإيديولوجي في رواية " **في الظلام**"، وهي الصراع النفسي وأشتمل على كل ما يعني بالجانب النفسي والحالة النفسية، والصراع الاجتماعي الذي تعدد وتنوع في الرواية بأشكاله، وأخيراً الصراع السياسي لمعرفة أهم الصراعات والأفكار الإيديولوجية الموجودة فيه والتي احتوتها الرواية.

ملحق تناولت فيه تعريفاً للروائي، حياته العلمية والعملية وملخصاً للرواية، وختمت بحثي في الأخير بخاتمة استخلصت فيها أهم النتائج المستخلصة من الموضوع المدروس.

كما أن طبيعة البحث اقتضت مني إتباع المنهج الوصفي، الذي ينطوي على جمع البيانات والتوصل إلى المعلومات المراد دراستها وتفسيرها المستفيضة والمفصلة بغية الإلمام بالموضوع والكشف عن الفكر الإيديولوجي في رواية " **في الظلام**"، كما استعنت ببعض إجراءات المنهج النفسي في سير أغوار النفسية وتشكل صراعاتها السياسية، فالاعتماد أيضاً على المنهج البنيوي التكويني الذي يحاول إلى إعادة الاعتبار للعمل الأدبي والفكري وخصوصيته لتفسير البنى الفكرية الموجودة فيه وإدراك وظيفته الاجتماعية.

ومن الدراسات المتنوعة التي صادفتني أخص بالذكر، دراسة **حميد لحميداني** الموسومة بـ: النقد الروائي من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي، بالإضافة إلى كتاب الإيديولوجيا والمعرفة **لبكري خليل**، وكتاب مفهوم الإيديولوجيا **لعبد الله العروي**،أما عن الدراسات التي تخص رواية" **في الظلام** " متعددة، إلى أنني استفدت من دراسة **عمرو عيلان** بعنوان الرواية والإيديولوجيا دراسته على طرحه لموضوع الإيديولوجيا وتواجدها في الأعمال الأدبية، والتوصل إلى عرض السياقات الإيديولوجية فيها.

وكما لا يخلو بحث من الاسترشاد، فإنه لا يخلو أي بحث من مجابهة الصعوبات، ولعل أبرز الصعوبات التي واجهتها في إعداد هذا البحث تشعّب مفهوم الإيديولوجيا واختلاف الآراء والتصورات حوله من باحث لآخر، مثل هذا البحث الذي يتطلب الوقت الكافي لاستيعاب مختلف الرؤى الفكرية حوله.

وهذا وإني لأرجو الله عز وجل أن يتقبل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يبارك فيما فيه من صواب، ويفيد به غيري، وأن يتجاوز عما فيه من نقص وخلل وأن يعذرني فيه.

فإنني أتقدم بجزيل شكري وامتناني لكل من الأستاذ الدكتور **عمر عليوي المشرف** على رسالتي هذه، والذي يعجز اللسان عن الوفاء بحقه لما قدمه من موافقة مباشرة على الإشراف، ولما لمسته فيه من حب اللغة العربية، ولا أنسى كرمه في وقته الثمين الذي خصني به والنصائح والتوجيهات التي قدمها بلا حساب،وأدعو الله أن يجازيه حق الجزاء، كما لا أنسى أن أشكر كل من كان عوناً لي في إنجاز هذا البحث.

الفصل الأول

المجال المفهومي للصراع والإيديولوجيا في الرواية

المبحث الأول: مفهوم الصراع

1-لغة

2- إصطلاحاً

المبحث الثاني: مفهوم الإيديولوجيا

1-لغة

2- إصطلاحاً

المبحث الثالث: الإيديولوجيا وعلاقتها بالأدب

1-الإيديولوجيا والأدب

2- الإيديولوجيا والرواية

الصراع من العوامل الديناميكية الأساسية في تكيف الفرد، وهو يعني وجود تعارض بين دافعين يلجأن على الإشباع ولا يمكن إشباعهما في وقت واحد، والصراعات في حياة الأفراد كثيرة ولكن هذه الصراعات ليست على درجة واحدة من شدة ضغطها على الفرد، حتى غدا الصراع أمرا طبيعيا فما من كائن آدمي على وجه الأرض مهما كان جنسه أو مركزه أو درجة ثقافته إلاَّ وخاض صراعا، أو سيخوضه في حياته المستقبلية بغض النظر عن نوع هذا الصراع سواء صراع نفسي أو اجتماعي أو غيرها من أنواع الصراع فهو خاصية ملازمة ولصيقة بالإنسان .

المبحث الأول: مفهوم الصراع

1/الصراع لغة:

ورد في لفظة صرعى الدالة على الصراع في قوله تعالى: «**سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ (7)** » [1].

الصرع: الطرح على الأرض، وصرعته المنية: أي مات وصرعه الباب: جعله مصرعين وصرع البيت من الشعر جعل عروضه كضربه، والصريع : القضيب من الشجر [2].

والمصارع : جمع مصروع من الغضب [3].

والصرع: علة تمنع الأعضاء النفسية من أفعالها منعا غير تام ، المثل [4].

2-اصطلاحا:

أما الصراع من الناحية الاصطلاحية كمصطلح سردي، فهو يعني ذلك الصراع الذي يخوضه الممثلون، وواحد منهم قد يحارب القدر أو المصير أو الوسط الاجتماعي أو الطبيعي، وعادة ما يشير إلى حالة أو وضع تقوم فيه جماعة من البشر والاشتباك في نوع

[1] سورة الحاقة: الأية 07 .

[2] ابن منظور: لسان العرب، دار الهادر، بيروت، لبنان، م 8، د ط، 1863، ص 199.

[3] المرجع نفسه: ص 200

[4] الفيروز أبادي: قاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ج3، ط 1، 1999، ص 65 .

من المعارضة الواعية مع جماعة أخرى أو أكثر من جماعة، على أساس أن الجماعات المناوئة تبدو أنها تسعى إلى أهداف لا تقبلها الجماعة الأخرى، فالصراع هو نوع من التعامل حول قيم ودعاوي بشأن موارد وسلطات، أي أن الصراع conflict ينطبق على التفاعل

الذي يحدث بين البشر وبعضهم البعض، فهو أكثر من التنافس الذي هو أبسط صور الصراع، ومن صور الصراع المعقدة: الأزمة والتوتر والنزاع .والصراع هو تنازع الإرادات الوطنية والقومية، وهو تاريخ عن الاختلافات والتناقضات بين أهداف الدول وإمكانياتها. والصراع لا يتخذ شكل المواجهة المسلحة، وإن كانت أشكاله ومظاهره وأسبابه تتعدد، كأن تكون سياسية أو اقتصادية أو إستراتيجية أو اجتماعية[1].

أما **دوتش** Dutch: فيرى أن الصراع يوجد عند « وجود النشاطات المتعارضة وتلك المتضاربة وقال إنّ هذه النشاطات التي تمنع أو تفسد أو تعيق النشاط الآخر وتسد الطريق عليه، أو على الأقل تقلل من قيمته وتجعل ذلك النشاط الآخر أقل أهمية وتأثيرا ....» [2].

– يعد **فريفريدو وبارتيو** [1448–1923] من أبرز علماء الاجتماع الصراعيين في إيطاليا والعالم . ظهرت نظريته الصراعية في كتابه الموسوم " **العقل والمجتمع** " الذي يقع في جزئيين وكتاب " **علم الاجتماع السياسي** " يعتقد **باريتو** في نظريته الصراعية بأن الصراع يكون بين النخبة والعوام . ذلك أنه يعتقد بأن المجتمع يقسم إلى طبقتين اجتماعيتين متصارعين هما طبقة النخبة الحاكمة ، والنخبة غير الحاكمة ؛ فالنخبة الحاكمة هي التي تتكون من أفراد يحتلون مواقع الحكم والمسؤولية كالوزراء والمدراء والعامين وقادة الجيش ورؤساء الجامعات والمؤسسات الكبيرة ....

[1] الأزهر ضيف،جميلة زيدان: نقد نظرية الصراع وإسقاطها على الواقع العربي، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة حمة لخض، الواد ، العدد 20، ديسمبر 2016، ص 190 .

[2] زياد يوسف المعشر: الصراع التنظيمي، دراسة تطبيقية لاتجاهات المرؤسين نحو أساليب إدارة الصراع،المجلة الأردنية في إدارة الأعمال، المجلد الأول، العدد الثاني، 2005، ص 43.

– أما النخبة غير الحاكمة فتتكون من أفراد لا يحتلون مواقع وأعمال حساسة وبارزة ومهمة لا يستطيع المجتمع الاستغناء عن خدمات أعضائها مهما تكن الظروف ، أما طبقة العوام فتتكون من عامة الناس الذين لا يحتلون مواقع اتخاذ القرار والمسؤولية أي أن أعمالهم لا تؤثر في أعمال ومصير ومستقبل الآخرين كأعمال النخبة الحاكمة وغير الحاكمة[1].

– وعرف الصيرفي [2008] الصراع بأنه نتيجة جانبية للتغيير، ولا يمكن الاستفادة منه، ووضعه تحت سيطرة المنظمة ، وكما يمكن أن يكون هادفا وفعالا وسبيلا إلى تفجير الطاقات والمواهب والكفاءات الفردية والجماعية الكامنة .

– أما القريوتي [2003] فينظر للصراع بأنه وسيلة للتعبير عن التوتر ويتأزم بمظاهر مختلفة من السلوك تشكل بمجموعها مظاهر الصراع [2] .

–وبناء ما سبق نستطيع التعريف بأن الصراع هو عبارة عن حالة اجتماعية ناشئة عن اختلاف في وجهات النظر وتعارضها حول أهداف، معتقدات ومصالح معينة داخل بيئة العمل.

الصراع مفهوم واسع ومتعدد التعريفات، فنجد أنه يعني نزاع مباشر ومقصود بين أفراد أو جماعات من أجل هدف معين، وتعتبر هزيمة الخصم شرطا ضروريا للتواصل إلى الهدف، ويظهر في عملية الصراع الأشخاص بشكل واضح من ظهور الهدف مباشرة »[3].

وتتعدد تعاريف الصراع فإنه يبقى الظاهرة الأكثر إنتشارا في المجتمع كونه رابط بين العلاقات المتوترة والمبنية على التناقض .

---

[1] سيدة عشتار بن علي: الصراع ودوره في التحول الاجتماعي، الفلسفة، علم النفس، وعلم الاجتماع .www M.ahewar.org/S.asp ? aid 296149 fr=0

[2] صفاء جميل الجعافرة: أساليب إدارة الصراع التنظيمي وعلاقتها بالإبداع الإداري لدى مديري ومديرات المدارس الحكومية في محافظة الكرك من وجهة نظرهم، دراسات، العلوم التربوية، المجلد 40، العدد الثاني، 2013، ص 1665.

[3] فاروق مداس: قاموس مصطلحات علم الإجتماع، دار مدني، الجزائر، د ط، 2003، ص 148.

المبحث الثاني: مفهوم الإيديولوجيا :

يعتبر مصطلح الإيديولوجيا– كمفهوم يحتمل محمولات متعددة– من أكثر المصطلحات التي عرفت تطورا كبيرا وانتشارا واسعا واستعمالا متباينا في مختلف المجالات الفكرية والفلسفية والسياسية والأدبية، ممّا جعل من الصّعب تحديد واعتماد تعريف واحد جامع مانع لها، حيث يرتبط كل تعريف بمدخل معرفي أو مدرسة فكرية تستند إليه وتتخذ منه موّجها منهجّيا في الوصف والتحليل والاستنتاج . لهذا، سنحاول في هذا المبحث؛ تتبع تطوّر المصطلح، وتحديد أهم المستويات النظرية التي شهدها واستعمالاته عبر أهم التيارات الفكرية. وكذلك آلية انشغاله ضمن بناء فكري يحمل تصورات شكلية اجتماعية متصلة بها.

1/الإيديولوجيا:

1-لغة:جاءت لفظة الإيديولوجيا في معجم لسان العرب، « **أدلج** » أي أدلج القوم إذا ساروا السير كله فهم مدلجون وأدلجوا ساروا الليل كله ودلجه: إذا ساروا من آخر الليل.[1]

نفهم من التفسير اللغوي أن لفظة أدلج تعني السير في الليل والتطلع على الذي يسير في زمن الليل.

2-الإيديولوجيا في المعاجم والقواميس والموسوعات العالمية:

تنوعت المادة التعريفية لدى المفكرين والكتاب الذين تناولوا الإيديولوجيا بمختلف إتجهاتهم ومذاهبهم، كما تنوعت في القواميس والمعاجم والموسوعات العالمية، وإن كان هذا التنوع الأخير مفهوم في نطاق وظيفتها الشّارحة، وتقديم لمحات ومصادر متعددة لتوضيح مفرداتها قدر الإمكان .

يهمنا في هذا المقام الوقوف على طبيعة التعريفات التي تظمنتها القواميس والمعاجم والموسوعات العالمية المتخصصة ، عملا بمبدأ الإنتقال من اللغوي إلى الإصطلاحي:

[1] رميسة جغوبي: الصراع الإيديولوجي في رواية إرهابيس لعز الدين ميهوبي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية، تخصص أدب حديث ومعاصر، جامعة محمد خيض، بسكرة، الجزائر،2014/ 2015، ص 04.

3-المنجد الأبجدي:

كلمة إيديولوجيا « **كلمة يونانية** »، ويقصد بها «فن البحث في التصورات والأفكار»[1].

4-المنجد في اللغة والأعلام:

يشير إلى أنّ:« الإيديولوجيا فن البحث في التصّورات، والأفكار، وهي مذهب يعتبر الأفكار المتخذة بذاتها ، بغض النّظر عن كل ما هو وراء الطبيعة » [2].

5-المعجم العربي الأساسي:

ويرد فيه التعريف على النحو الآتي:« 1 مذهب سياسي أو اجتماعي، يشهد العالم اليوم صراعا بين إيديولوجيات مختلفة كالاشتراكية والرأسمالية، 2 في الفلسفة: علم الأفكار وموضوع دراسته الأفكار والمعاني وخصائصها وقوانينها وأصوالها »[3].

6-قاموس المورد ومعجم الرافدين:

ونجد في كليهما تعريفا متطابقا في مادة إيديولوجيا:

1–وضع النظريات بطريقة حالمة أو غير علمية، 2– الإيديولوجيا: (أ)– مجموعة نظامية من المفاهيم في موضوع الحياة أو الثقافة البشرية.

(ب) – طريقة أو محتوى التفكير المميز لفرد أو جماعة أو ثقافة.

(ج) – النظريات والأهداف المتكاملة التي تشكل قوام برنامج سياسي، اجتماعي...[4].

نلاحظ أن مصطلح الإيديولوجيا في المعاجم والقواميس العربية تعني الأفكار والأنظمة التي يقوم بها الفرد والجماعة من أجل بناء وتشكيل مقومات المجتمع وأنظمته السياسية، الاجتماعية، الثقافية،....

7-قاموس ox ford التعليمي:

---

[1] المنجد الأبجدي: دار الشرق، بيروت، لبنان، ط5، 1976، ص 184.

[2] المنجد في اللغة والأعلام: دار الشرق، بيروت، لبنان، ط 41، 2005، ص 22 .

[3] بكري خليل: الإيديولوجيا والمعرفة، دار الشرق، بيروت، لبنان، ط1، 2002، ص 113–114 .

[4] المرجع نفسه: ص 113 .

يطلعنا القاموس المشار إليه بالتعريف الآتي للإيديولوجيا:« 1- أنها أسلوب في التفكير يتميز به شخص أو مجموعة ما، خاصة في صياغة أسس النظام الاقتصادي.(2) – أنها نوع من التفكير غير المنتج »[1].

8-موسوعة بريطانيا:

تختلف صورة التعريف في الموسوعات والقواميس المتخصصة تبعا للجوانب التي تستأثر باهتمامها دون سواها. ففي الموسوعة البريطانية المصغرة نجد التعريف الآتي:« الإيديولوجيا هي نظام من المعتقدات أو النظريات التي تكون في العادة مرشدا للعمل، وقد يشكل ذلك النظام أساسا لمنهج سياسي »[2].

– أما موسوعة العلوم الاجتماعية تشمل تعريفين بينهما اختلافات ملموسة، أولهما ما جاء عن **ادورد شيلز وهاري جونسون** هذا الأخير يعرف الإيديولوجيا « بأنها تتكون من أفكار منتقاة أو مشوهة عن النظام الاجتماعي بينما تدعي تلك الأفكار المتماسكة تقريبا، والذي يكون فيه التشويه الإيديولوجي مهّما » [3].

– بينما يرى **إدورد شيلز:** « أن الإيديولوجيا هي ضرب من النماذج المعرفية الشمولية، والمعتقدات الأخلاقية عن الإنسان والمجتمع والتي تزدهر في المجتمعات البشرية »[4].

نلاحظ اختلافا بين التعريفين السابقين فالأول يرى بأنها مجرد مجموعة من الأفكار المشوهة عن النظام الاجتماعي وهو مفهوم سلبي عن الإيديولوجيا، والثاني يرى بأن الإيديولوجيات هي مجموعة من العوامل الثقافية والأخلاقية، وأنها نظام عقلي وينطوي هذا التعريف على نزعة للجوانب التكوينية والوظيفية للأيديولوجيا.

3/ **إصطلاحا:**

1-الإيديولوجيا عند الغرب:

---

[1] بكري خليل: الإيديولوجيا والمعرفة، ص 112

[2] المرجع نفسه: ص 144 .

[3] المرجع نفسه: ص 115 .

[4] الصفحة نفسها .

يعود الفضل في ظهور مصطلح « **الإيديولوجيا** »، لأول مرّة، في رحاب التّداول الفكري الإنساني إلى الفيلسوف الفرنسي **أنطوان دي تراسي**.[1] Destutt Destracy [1754–1836] في محاضرة ألقاها **دي تراسي** عام 1776،والإيديولوجيا عند مبدع الكلمة هي علم الأفكار؛ أي علم حالات الوعي، كان يهدف إحلاله محل" **سيكولوجي**" الذي ينطوي على تعبير النفس ذي المدلول الروحي والديني الذي أراد تجنبه ابتغاءا للعقلانية . وقد تأثر دي تراسي بالفيلسوف كوندياك [1715 –1780]الذي يرد كل معرفة أو إدراك إلى أصول حسية– بحتة – وانطلاقا من ذلك وضع دي تراسي كتاباً كبيراً في أربعة مجلدات سنة 1801 أسماه **عناصر الإيديولوجيا** Eléments Idéologie[2] .

وقد عمد **دي تراسي** إلى دراسة الأفكار علمّية بحتة بعيداً عن أنواع الخيال والميتافيزيقا كلها من جهة والإتكاء على الموروث الديني، وكل التصّورات والأوهام التابعة من النفس الإنسانية من جهة أخرى، حيث يقول دي تراسي: « إن كلمة إيديولوجية تستبعد كل ما هو شكلي ومجهول، ولا تستدعي في الذهن أي فكرة خاطئة وغامضة ..»[3].

وكان أساس نظرية **دي تراسي** أن الفكر الإنساني ما هو إلاّ عملية ناتجة من تحّول الإحساسات؛ وهي الإدراك والذاكرة والقدرة على الحكم والتمييز والإرادة، ما هي– في الواقع– إلاّ أشكال وتصنيفات مختلفة الإحساسات الإنسان. وقد امتدت هذه الأفكار المجردة إلى نظرة عامة لتفسير التاريخ والنّظم الاجتماعية، الأمر الذي جعل هذه النّظرية أساساً للنظريات السائدة في فرنسا من أواخر الثورة حتى تولد نابليون الحكم وكانوا الذين يعتنقون هذه النظريات يسّمون الإيديولوجيون. إلاّ أنّ نابليون سرعان ما ثار على الإيديولوجيا اعتقادا منه هذه النظريات فيها أفكار خطيرة وهدّامة وتهدد الدولة المركزية القوميّة، واتهم نابليون الإيديولوجيون بأنهم يضلّلون الشعب واصفا إياهم بأنهم «أناس حالمون مغرقون في الخيال،

[1] ريمون بودون، فرانسو بوريكو: المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة: سليم حداد، ديوان المطبوعات الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 1986، 84 .

[2] رمضان الصباغ: الفن والإيديولوجيا، دار الوفاء، الإسكندرية، ط1، 2005، ص 10 .

[3] عمرو عيلان: الإيديولوجيا وبنية الخطاب الروائي، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، د ط، 2001، ص 11 .

بعيدون عن الواقع، وعمل على إضطادهم والسخرية منهم بمرارة مطلقا عليهم اسم أصحاب النظريات الواهمة Idéologues »[1].

فالأيديولوجيا حسب رأيي تستبعد كل ما هو ميتا فيزيقي، وتعمل على وحدة العلوم وتوحيد نظرة المجتمع الإنساني.

وهناك الكثير من المفكرين الذين ساهموا في إثراء المفهوم الإيجابي للأيديولوجيا، وسنحاول في ما يلي عرض تطور المفهوم عند عدد من المنظرين والنقاد:

2-الطرح الماركسي لمفهوم الإيديولوجيا:

يعتبر **كارل ماركس** [1818– 1883] مؤسس النظرية الحديثة في الإيديولوجيا، ودعا إلى ضرورة الاهتمام بحياة الناس وتاريخهم، وهو أول من اشتغل مصطلح الإيديولوجيا في مجال علم الاجتماع؛ حيثٌ ربط نشأة الأفكار بحركة الحياة الاجتماعية .

يقول ماركس عن الايديولوجيا: « أن الإيديولوجيا انعكاس مقلوب ومشوه وجزئي ومبتور للواقع ، وهي بذلك تعارض الوعي الإنساني الحقيقي » [2].

فالأيديولوجيا من وجهة نظر الماركسية، هي تبرير لمصالح الطبقة الاقتصادية المسيطرة في المجتمع، وهي ليس لها وجود مستقل، وإنما هي ألية تستعمل من قبل الرأسماليين لتبرير سطوتهم الطّبقية، وكحائط يحمي مصالح هذه الطّبقة ضد أي تغيير » [3] يتجلى حسب هذا المفهوم أن الإيديولوجيا ما هي إلا تشويه للواقع والحقائق العلمية.

3-فريديرك إنجليز:

استعمل فريدريك إنجليز فكرة صديقه ماركس، حيث ربط بين الإيديولوجيا والفكر الواقع، حيث يقول: « أن الإيديولوجية عملية ذهنية يقوم بها المفكر وهو واعٍ،إلاّ أنّ وعيه زائف لأنه يجهل القوى الحقيقية التي تحركه، ولو عرفها لما كان فكره إيديولوجيا »[4].

---

[1] عمرو عيلان:مرجع السابق ، ص 13.

[2] رميسة جغوبي: الصراع الايديولوجي في " رواية إرهابيس، ص 06.

[3] أمين حافظ السعدني: أزمة الإيديولوجيات السياسية، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط 1، 2014، ص 19 .

[4] عبد الله العروي: مفهوم الإيديولوجيا، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط 07، 2003، ص 34 .

ويقول **إنجليز** في كتابه **أنتي دوهرنج Anti Duhring** « وهكذا فإننا نرفض كل محاولة لإلزامنا بأنه عقيدة أخلاقية منها كانت على اعتبار سريعة أخلاقية أبدية نهائية وثابتة أبداً بحجة أنّ للعالم الأخلاقي أيضاً مبادئه الدائمة التي نهض فوق التاريخ وفوق الفوارق بين الأمم، إننا ننادي على النقيض من ذلك بأنّ سائر النظريات الأخلاقية قد كانت ...نتاجاً لأوضاع المجتمع الاقتصادية السائدة »[1].

يتضح لنا حالياً أنّ المفهوم الماركسي للإيديولوجيا يتجسد من خلال شكل وطبيعة الأفكار التي تكرس مصالح الطبقة الحاكمة التي تتناقض مع آمال الطّبقة المحكومة العاجزة عن خلق إيديولوجيتها؛ فتعمد إلى امتصاص إيديولوجية الطبقة الحاكمة.

ومن هنا، يتكون الوعي الزائف بالواقع الذي يتسم بالفساد والإنحياز والإستغلال بعيدا عن رؤية العلاقات الإنسانية في شكلها الحقيقي والطّبقي؛ فتعتنق الطبقة المسحوقة أفكار غيرها دون وعي فعّلي بذلك » [2].

4-جورج لوكاتش والإيديولوجيا :

يعد جورج لوكاتش من أبرز المفكرين الماركسيين الذين عالجوا موضوع الوعي الطّبقي، واهتموا اهتماماً بالدراسات الجمالية والنقد الأدبي وأبدعوا في هذا المجال. وقد تابع لوكاتش Lukacs [1885 –1971] في دراسته للإيديولوجيا ما جاء في التراث الماركسي، وكان تأثره، بالتصور اللينيني.

وقدّ عبر **لوكاتش** في مقدمته للطبقة الجديدة لكتابه"**التاريخ والوعي الطبقي** History and class Consciauness المكتوبة عام 1967 قد كان اهتمامه بالإيديولوجيا والوعي الطبقي، مما دفعه إلى القول بأنّ: « الإيديولوجيا بالنسبة للبرولتياريا ليست شعارا أو غطاء لأهدافها الحقيقية ، إنها هدف في حد ذاتها »[3].

5-أنطونيو غرامشي:

---

[1] رمضان الصباغ: الفن والإيديولوجيا، ص 17.

[2] عمرو عيلان:الإيديولوجيا وبنية الخطاب الروائي، ص 16 .

[3] رمضان الصباغ: المرجع السابق، ص 21 – 22.

رأى **غرامشي** بأنه يبدو أن هناك أساساً للخطأ في تقدير قيمة الإيديولوجيات وفقا لحقيقة أن تعبير إيديولوجيا على كل من البناء الفوقي الجوهري لبنية خاصة، وكذلك على الإنتاج الإعتباطي (التحكمي) لأشخاص معينين. وهنا يبدو تأثر **غرامشي** بعدم معرفته للإيديولوجية الألمانية، ذلك أن فكرة **غرامشي** عن التصور السلبي للإيديولوجية لا تتطابق مع تصور« **ماركس** » وإنّ كان ما رفضه هو تصور الإيديولوجيا"كتأمل فردي اعتباطي (تحكمي) وهو ما رفضه **ماركس** أيضا، لكنه لم يدرك وجود تصور سلبي اختياري ... يعني أنّ يعارض الإيديولوجيا كتشويه أو تحريف للبناء الفوقي لبنية معينة[1].

6-كارل مانها يم وتطور مفهوم الإيديولوجيا:

من أبرز المنظرين في ميدان علم الاجتماع والمعرفة ، يحدد معنى الإيديولوجيا في كتابه " **الإيديولوجيا واليوتوبيا**"، فالأيديولوجيا هي عنده مصطلح يصف تصورات الأفراد أو وجهة النظر الفكرية النوعية، كتحريفات كاذبة (زائفة) معتمدة على اهتمامات الأفراد، مع ذلك فإن التصور في رأي **كارل مانهايم** إلى التصور الكلي أو الشامل للأيديولوجيا يعتمد على فلسفة الوعي التي ترى الفكر منتظما في وحدة من عناصر ملتحمة، والتي أنتجت بواسطة التنوير وأرخت أخيراً بالفلسفة الهيجلية[2] .

وقد عمل **مانهايم** على التّمييز بين الإيديولوجيا واليوتوبيا؛ فرأى أن الإيديولوجيا تهدف إلى الدفاع عن الوضع الفعليّ الرّاهن، والمحافظة على إستمرارية الواقع ونفي بذور التغيير الموجودة فيه، اما اليوتوبيا فهي تعني ذلك النوّع من التفكير الذي يركز على النّظر إلى المستقبل بصورة مستمرة، وأحد أهم وظائفها هو زلزلة النّظام الذي يحاول أنصار الإيديولوجية المحافظة عليه. [3] من هذا المنطلق تغدو اليوتوبيا توجهاً للسلوك نحو عناصر لا تحتويها الوضعية، وهي بالمقابل ليست ايديولوجية، لأن الإيديولوجي يتعامل مع الواقع ويسعى إلى تغييره بينما اليوتوبي أحكامه مطلقة وموافقة جامدة .

---

[1] المرجع نفسه: ص 23 .

[2] عمرو عيلان: الايديولوجيا وبنية الخطاب الروائي (دراسة سوسوتبائية في روايات عبد الحميد بن هدوقة، ص 19.

[3] أمين حافظ السعدي: أزمة الإيديولوجيات السياسية، ص 23 .

ويرى **مانهايم** أنّ الإيديولوجيا واليوتوبيا يشتركان في معنى واحد هو« الابتعاد عن الواقع على الأقل في وقتها الراهن » [1] أي يمثلان هروباً فعلياً من الواقع وإحجاما عنه، وتتحّنَجان إلى الوعي الزائف وتركنان إليه .

7-لويس ألتوسير:

لقد كان **التوسير** [1921 – 1990] يحاول تحديد تأويل الماركسية، مستغلاً فترة وجود تيارات متباينة في قيادات الحزب الشيوعي الفرنسي. وقد جاء في كتابه " **لينين والفلسفة ومقلات أخرى**" Lenin and philosophy and other Essays في حديثه عن الإيديولوجيا أنه مصطلح أُخْتُرِعْ بواسطة **دي تراسي** ورفاقه الذين جعلوه كموضوع لنشأة الأفكار [2].

ويعرفها قائلا:« الإيديولوجيا هي نسق من الأفكار والتمثلات التي تسيطر على عقل الإنسان، أو المجموعة الاجتماعية ». كما رأى أنّ الإيديولوجيا ليست ضلالاً (انحرافاً) ولا زائدة طارئة، إنها بنية جوهرية للحياة التاريخية للمجتمعات، والأكثر من ذلك هو أنّ وجود معرفة ضروريتها (جوهريتها) يجعلنا قادرين على الفعل بالأيديولوجيا، ويَحّول الإيديولوجيا إلى وسيلة للفعل المفكر فيه مليا (المدروس) في التاريخ .

كما سعى **ألتوسير** إلى الدفاع عن الماركسية ضد التأويلات الإنسانوية والإصلاحية الطابع، ينبغي السعي إلى الدفاع عن الماركسية ضد بعض مظاهر عمل **التوسير** نفسه وبالأخص ضد ذرية التوسير ما بعد الماركسية [3].

ويبرهن **ألتوسير** في أنّ إيديولوجية **البرولتياريا** ليست مؤسسة على نشاط تلقائي للطبقة العاملة، لكنها تشكلت بواسطة معرفة موضوعية قدمتها الماركسية، لذلك هي تكون ايديولوجيا

[1] المرجع نفسه: ص 23.

[2] رمضان الصباغ: الفن والإيديولوجيا، ص 31.

[3] تيري إيجلتون: النقد والإيديولوجية، ترجمة فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، 1992، ص 10.

خاصة. فالمفهوم السلبي للإيديولوجيا والتعارض بين العلم والإيديولوجيا قد اختفى. و**التوسير** يعود في النهاية إلى احتضان اللينينية [1].

8-لوسيان غولدمان:

يطرح **لوسيان غولدمان Lucien Goldman** تصوره لمفهوم الإيديولوجيا" **كرؤية للعالم** "،مميزاً حدوداً فاصلة بينهما .

ومن هنا يمكن أنّ نقول أنّ **غولدمان** يطلق مصطلح رؤية العالم على ما يعرف بإسم الإيديولوجيا، وهذا ما أقرّه **حميد لحميداني** في قوله:« على الرغم من كل المحاولات للتميّيز بين الإيديولوجيا ورؤية العالم، فإنه لا يمكن الادعاء بأنّ الرؤية للعالم، هي تصور كامل للواقع التي ظهرت فيه، لأنها مهما بلغت قدرتها على استيعاب مختلف التصورات المتعايشة في المجتمع، فإن قيمتها في نهاية الأمر ستبقى منحصرة في التّصور الحضاري العام للمجتمع الذي نشأت فيه، وهي لذلك تبقى ذات طابع نسبي...[2] » بمعنى أنّ الايديولوجيا ورؤية العالم نسبيتان في تصورهما للواقع ، بما أنّ رؤية العالم ليست خلقاً فردياً وحكماً ذاتياً بقدر ما هي جماعية. كذلك لو تتبعنا أثر الإيديولوجيا ومساراتها داخل الطبقة فهي جماعية أكثر منها فردية؛ فمن خلال الإيديولوجيا، يعي الأفراد إنتماءهم إلى طّبقة بكل ما تتميز بها من خصوصيات أو سمات اجتماعية معبرة عن تلك الإيديولوجيا؛ فهذا الإحساس بالانتماء لدى الأفراد يتدّعم باستمرار، ويتسع عندما يحتدم الصراع الإيديولوجي في المجتمع[3].

ويتضح مما سبق أنّ التمييز بين الإيديولوجيا ورؤية العالم مهمّة صعبة ، ذلك لاشتراكهما وتقاطعهما في عدة نقاط، وإختلافهما في نقاط شتى. وعلى هذا الأساس، تبقى الرؤية للعالم

---

[1] جورج لارين: الإيديولوجيا والهوية الثقافية، الحداثة وحضور العالم الثالث، ترجمة: فريال حسن خليفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط 1، 2002 ص 132 .

[2] حميد الحميداني: النقد الروائي والايديولوجيا، من سوسولوجيا الواقع الى سوسولوجيا النص الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى ، 1990، ص 23 .

[3] أنظر: عمرو عيلان، المرجع السابق، ص 27.

أداة مفهومية للعمل الأدبي، وبما أنّ الإيديولوجيا أداة، فهي ليست إلاّ مجالاً معرفياً لفهم النسق الفكري في مجتمع معّين.

ولقد ارتأيت في هذا السياق الإحاطة ببعض الاستعمالات الرئيسية للإيديولوجيا التي تطورت إبان الحقب التاريخية المتعاقبة حسب بعض المفكرين الذين ذهبوا إليها منذ بداية شيوع المصطلح وإلى الأزمنة المعاصرة ، وفيما يلي إيجاز بسيط لتلك الاستعمالات:

- ✓ استعمال القرن الثامن عشر، حيث تعني الإيديولوجيا محاربة الأفكار المسبقة الموروثة عن عصور الظلّم والظلمات، وكذلك الأفكار الجديدة المعارضة للسابقة والتي تستخدم العقل الكاشف للحقيقة، الدّافع للضباب الكثيف الذي حال دون الرؤية الصحيحة طوال العصور الوسطى. يمكن القول بأنّ هذا الاستعمال ينظر إلى الإيديولوجية إنطلاقاً من العقل الذي لا يختلف في الفرد عما هو في الإنسانية جمعاء.
- ✓ استعمال الفلاسفة الألمان، ولا سيما **هيجل والرومانسيين**، حيث تعني الإيديولوجيا، لديهم كيانا فكرياّ، تعبر عن الرّوح التي تدفع الحقبة التاريخية المعيّنة إلى السعي لتحقيق هدف محدّد لابد أنّ يكون له دور في الخط الذي رسمه التاريخ العام للمجتمع البشري، ومن ثم يتسنى لي أنّ أقول بأنّ هذا الاستعمال ينظر إلى الإيديولوجية انطلاقاً من التاريخ كخطة واعية بذاتها .
- ✓ الاستعمال الماركسي وينظر إلى الإيديولوجيا على أنها بناء فكري يعكس طبيعة النظام الاجتماعي. وهكذا، يمكنني القول بأَنّ هذا الإستعمال ينظر اليها إنطلاقاً من البنية الباطنية للمجتمع الإنساني الذي يتميز بإنتاج وسائل استمرار يته .
- ✓ استعمال نيتشه، حيث تعني الإيديولوجيا مجموعة الأوهام والتعليلات والحيل التي يحاول بها الإنسان التكيف مع قوانين الحياة. فوجهة نظري إذن تنطلق من الحياة كظاهرة عامة تفصل عالم الجماد عن عالم الحياء.

- ✓ استعمال **فرويد** الذي يعني بالإيديولوجيا لديه مجموعة الأفكار الناتجة عن تطبيق قانون الله ضروري في رأيه لبناء الحضارة[1].

في هذه الاستعمالات الخمسة، تتغاير التعابير وتختلف المنطلقات التي تميّز الإيديولوجيا، وكل استعمال يفرق بين الظاهر والخفيّ، وبين الملموس والحقيقيّ. وفي ضوء ما سبق يمكن القول إنّ الإيديولوجيا ظاهرة كليّة تتعلق بمستويات الوجود الاجتماعي كافة، الاجتماعي والسياسي والسيكولوجي، والمنطقي .

2/ الإيديولوجيا عند العرب:

على غرار التصورات والمفاهيم السّابقة الخاصة بالايدولوجيا، والتي كانت مختلفة ومتشبعة، من ماركسية وسوسيولوجية وأدبية وحتىّ تاريخية نجد هناك تصور آخر متمثلا في ذلك الذي أقره **عبد الله العروي** في كتابه **مفهوم الإيديولوجيا** في محاولة منه لتحديد الاستعمالات المصطلحية، وكذا الوظيفية لمصطلح الإيديولوجيا الذي يماثله بمفردة« **أدلوجة** »للتعبير عنها يقينا منه بأن مفردة« **أدلوجة**» ومفردة « **إيديولوجيا** »تشكلان تصورا واحد ؛ فالأدلوجة على حد قول **عبد الله العروي:**« منظومة كلامية سجالية تحاول رغبة ما أنّ تحقق بواسطتها قيمة ما باستعمال السلطة داخل مجتمع معين ».[2] بمعنى أنَّها نسق فكري متمثل في شكل منظومة فكرية واعية تتبناها طبقة اجتماعية معينة داخل مجتمع ما لتحقيق رغبات وقيم تكون بمثابة إيديولوجيا لهذه الطبقة.

وتتنوع معاني الإيديولوجيا عند العروي، إذ يرى «أن الأدلوجة في معنى القناع وفي معنى رؤية كونية وفي معرفة الظواهر » .[3] وهي تنقسم إلى ثلاثة أنماط:

---

[1] خليفة عبد الرحمان: فضل الله محمد اسماعيل، المدخل في الإيديولوجيا والحضارة، مكتبة سبتان المعرفة للطباعة والنشر، الإسكندرية ، د ط ، 2006 ، ص 25 .

[2] عبد الله العروي : مفهوم الإيديولوجيا، ص 13

[3] عبد الله العروي: مفهوم الإيديولوجيا، ص 13.

1-النمط الأول : الإيديولوجيا كقناع أو كنسق سياسي: وهي نظام من الأفكار الوهمية تتضمن تقريرات وأحكاماً ما حول المجتمع، عن مصلحة وتهدف إلى انجاز معين وتقود إلى نظرية نسقية فيما يتعلق بالقيم »[1].

بمعنى أنها إيديولوجية تتصل بالنشاط السياسي في مجال المناظرة، وهو نفعي وهدفها كشف الحقائق لمعتنقيها، في حين تخفي نواياها عن خصومها.

2-النمط الثاني: الإيديولوجيا كرؤية كونية:« فإنها تحتوي على مجموعة من المقولات والأحكام حول الكون، تستعمل في اجتماعات الثقافية لإدراك دور من أدوار التاريخ وتقود إلى فكر يحكم على كل ظاهرة إنسانية بالرجوع إلى التاريخ كقصد يتحقق عبر الزمن »[2].

– الإيديولوجيا لهذا المفهوم تسعى إلى الشمولية وإلى أن يعتنقها كل الناس على مستوى العالم.

3-النمط الثالث : الإيديولوجيا كمعرفة أو كنسق ابستيمولوجي:« وتستعمل الأدلوجة في معنى الظاهرات الآنية والجزئية في مجال نظرية المعرفة ونظرية الكائن، تتضمن أحكاماً حول الحق ... ويقود هذا الاستعمال حتما إلى النظرية الجدلية » [3].

بمعنى أنها نمط فكري علمي معرفي مهمتها البحث في ماهية الكون والكائن الاجتماعيين.

هكذا نكون قد وفقنا على مفهوم الإيديولوجيا بدلالاتها المختلفة وأبعادها المتعددة وبقي لنا أن نقف على أهم الملاحظات التي تستفيدنا في فهم الإيديولوجيا وعلاقتها بالأدب وعلاقة الرواية بالإيديولوجية الإيديولوجيا في الرواية.

---

[1] المرجع نفسه: ص 13.

[2] الصفحة نفسها.

[3] الصفحة نفسها.

المبحث الثالث: الإيديولوجيا وعلاقتها بالأدب:

1/الإيديولوجيا والأدب:

يتأثّر الإنسان بالحياة الخارجة السّائدة في بيئته القائمة في مجتمعه، وهو يستمد أدبه من حياة هذا المجتمع ، حيثّ يقول أحد الدارسين :«**إن الأدب تعبير عن المجتمع** » [1] ولقد كانت علاقة الأدب بالواقع الاجتماعي هي الإطار الذي تبلور فيه البعد الإيديولوجي في الأدب، حيثّ يمكن اعتباره الإطار الذي يمكن لصاحبه من الدعوة لأفكاره وبلورة مواقفه وهذا السياق يرى عمرو **عيلان** أن العمل الأدبي يزخر بإمكانيات فنّية تجعله يستوعب التجارب الإنسانية ، والتوجهات الإيديولوجية، ويعيد طرحها وصياغتها في شكل جديد وخاص دون أن يطمس جوهرها الأساسي أو يحرفها [2].

إن الأدب في بنيته الفكرية في حركة تواؤم مع حركة المجتمع وتغيراته عبر العصور وقد شهد تطور الآداب على مر التاريخ حركات نقدية تابعت ووصفت العلاقة والوظيفة للأدب تجاه الإنسان والمجتمع، لتؤكد أن البيئة الاجتماعية والأفكار السائدة بما تحمل من منظور إيديولوجي تؤثر في الفن بعامة فتظهر أيضا « عبر الدساتير والعادات والتقاليد والفلسفات » [3] كأشكال متمايزة تعبر عن مضمون فكري بطرق مختلفة ، ولكن ما يلفت انتباه القارئ إلى التساؤل ما العلاقة بين الصراع الإيديولوجي كديناميكية تحكم العالم وبين الأدب ؟ أو بعبارة أدق ما مدى ترابط الإيديولوجيا كخاصية اجتماعية يتبلور فيها الوعي الفكري للمجتمعات بالأدب الذي يحمل في طياته خاصية فنية تّعبر رسالتها من أديب إلى آخر؟ والإجابة عن هذا التساؤل نجدها في مقولة **كولوريدج** : « **الأدب نقد الحياة**[4]» .واستخلص من هذه المقولة أنّ الأديب لابد أنّ يكون له موقف في الحياة سواء أكان ها الموقف ايجابيا أو سلبيا

---

[1] عز الدين اسماعيل: " الأدب وفنونه، دراسة ونقد، دار الفكر العربي، القاهرة، د ط، 2004م، ص 25.

[2] عمرو عيلان: المرجع السابق، ص 38 .

[3] الخطيب محمد الكامل: الرواية والواقع، دار الحداثة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1981، ص 107

[4] سليم بتقة: البعد الإيديولوجي في الرواية الجزائرية " رواية الحريق لمحمد ديب نموذجا بحث مقدم لنيل شهادة الماجيستير في الأدب العربي، جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، 2005 /2006، ص 19.

وفي بعض الأحيان تخدمه وفي بعض الآخر تصدمه، ولذا لابد أن تتولّد لديه نظرة شخصية تفسر هذه الحياة بحسب اعتقاده وأفكاره.

وقد تعرضت العديد من النظريات لهذه العلاقة بين الأدب والإيديولوجيا بالدراسة ومن أهم هذه النظريات نظرية المحاكاة التي جاء بها **أفلاطون** والجمالية عند **أرسطو**، نجد أن نظرية المحاكاة طلبت الأديب بالتقليد بمعايير أخلاقية(**أفلاطون**)وبمعايير شكلية(**أرسطو**)، ونظرية التعبير تتجسد في التصديق الحازم بأن الفرد هو بذاته عالم قائم وكذلك المناداة بالحرية الشخصية وهو جزء من إيديولوجية الطبقة البرجوازية التي أثرت في مسار الأدب، أما نظرية **أرسطو** فقد طالبت بالإيمان بالفكر الاشتراكي مثل العدالة الاجتماعية والاقتصادية وحتىّ الشعوب في تقرير مصيرها[1] .

إن إحدى مهام النقد المعاصر هي بيان درجة التداخل والتجاذب بين مضمون العمل الأدبي وشكله التزام الأديب الملتزم باديولوجية معينة تزيد من تفهمه للمجتمع والحياة .وأن الأديب الملتزم بايديولوجية محددة يلقى صعوبات وتحديات كبيرة لذلك فإن المهمة الملقاة على الأديب الناضج تمثل في إقامة علاقة صحيحة بين الإيديولوجيا والأدب، أي أنه الذي يستطيع أنّ يقيم توازناَ دقيقاً بين وعيه الفكري ووعيه الفني[2].

– نستخلص من كل هذا أنّ الأدب جزء من الإيديولوجيا مع ضرورة لكل منهما استقلالية نسبية، حيث أنّ الإيديولوجية نظام من المفاهيم والتصورات الاجتماعية، بينما الأدب والفن عامة ينفرد دوما على كل الحدود والقوانين ولهذا فالعلاقة بينهما مركبة.

2/ الإيديولوجيا والرواية:

عرفت علاقة الرواية في الإيديولوجيا جدلا نقديا كبيرًا امتدت جذوره الأولى إلى نشأة النص الروائي وعلاقته بالواقع الاجتماعي وبصيرورة التاريخ كخطاب أدبي جمالي حامل لصور ومفاهيم وتطلعات الفرد والمجتمع ورؤية الأديب من خلاله للعالم وموقفه من التاريخ، وقد

[1] شكري عزيز ماضي : في نظرية الأدب " دار فاس للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2005، ص 103– 105.

[2] المرجع نفسه : ص 105 –107 .

ارتبطت الرّواية في نشأتها بظهور المجتمع البرجوازي. ويذهب **جورج لوكاتش** إلى القول بأنّ الرواية هي الشكل الأدبي الذي يعبر عن المجتمع البرجوازي؛ إذ إنّ السّمات النموذجية للرواية لا تبرز إلى حيّز الوجود إلا بعد أنّ تصبح الرواية الشكل التعبيري للمجتمع البرجوازي [1] ذلك أنَّ الرواية هي الجنس الأدبي الأوربي الذي جسّد قيم البرجوازية على شكل ملحمة نثرية، كما كان النثر أكثر قدرة على استيعاب وتصوير تناقضات الواقع المعيش. ويجب الإشارة إلى أنّ الرواية تختلف عن الملحمة في تصوير الأحداث وعرض المواقف؛ فالملحمة تعرض للفعل في قمة تطوره دون شرح للحيثيات وتقدم مفهوماً خالصاً للبطولة؛ فبطل الملحمة هو بطل فعلي يجسد القيم الاجتماعية المثلى، على عكس بطل الرواية الذي ليس بطلا فعليا، بل هو شكلي، يصارع قيماً اجتماعية متدنّية في مجتمع متدنّ.[2]

وتعتمد الرواية على عنصر السرد في إبراز العلاقة بين البطل والمجتمع، عكس ما تبرزه الملحمة التي تعتمد على الأسلوب الشعري في التصوير الفني للقيم الملحمّية ليسهل عليها السيطرة والإمساك بالقيم الفكرية الجاهزة؛ فهذا النوع من الأسلوب لا يمكنه أن يستوعب تلك العقد الاجتماعية للمجتمع البرجوازي، فتركيبة المجتمع معقدة تقتضي النزوع إلى نمط نثري قادر على رصد الأحداث والوقائع اليوّمية و احتوائها . كذلك تستلزم الكتابة الروائية أسلوبا أكثر شفافية ودقة، وهو ذلك الأسلوب النثري الذي يدقق في الجزئيات ويراعي قيم الفرد ومثله لا يشكك في طاقاته الذاتية الكامنة والقادرة على التغيير.[3]

– كما قادت الدراسات التطبيقية لمؤلفات روائيين عالميين **كبلزاك Balzac وتولستوي Teon tolstoi وديستوفيسكي Dostoievs ki feodor** إلى تبلور اتجاهات نقدية حول نظرية الرواية، وأدى اهتمام علم الاجتماع بها – كفن – إلى ظهور علم اجتماع الأدب الذي درس الأدب كظاهرة اجتماعية، وأتجه عبر مروره بمراحل متعددة إلى بلورة نظرية الرواية

[1] عمرو عيلان: المرجع السابق، ص 43.

[2] عمرو عيلان: المرجع السابق، ص 44، 45 .

[3] المرجع نفسه: ص 45 .

كفن مستقل له قوانينه ومميزاته، وقد ميز الناقد المغربي **حميد لحميداني** ثلاثة أشكال في ضرورة ارتباط هذا المنهج بنقد الرواية:

النقد الجدلي في صورته الأولى: وارتبط بالمادة التاريخية، حيثٌّ إنّ الرواية شكل من أشكال البنية الفكرية للمجتمع، وهي تأتي لتصورّ الصرّاع حول المصالح المادية بين طبقات المجتمع.

البنيوية التكوينية: وتحاول أنّ تنجز علاقة بين إيديولوجية الكاتب والنص الأدبي والروائي، حيث أنّ الكاتب نتاج ظروف سوسيو – تاريخية – ومن أعلامها **لوكاتش وغولدمان** اللذين بلورا – تباعا – فكرة (رؤية العالم)

سوسيولوجيا النص الروائي: يعتبر **ميخائيل باختين Mikhail Mikhailouitch Bakhtine، وبيرزيما Zima،** اقرب سوسيولوجي الأدب إلى بناء سوسيولوجيا النصّ الروائي، وقد بنى آراءه حول الرواية بالتحليل العميق لعلاقة اللغَّة بالواقع الاجتماعي والاقتصادي.[1] ويعتبر النص الروائي تجربة اجتماعية عبر واقع ومتخيل، كما يهدف إلى التركيز على القانون الاجتماعي في النّص.

وبعد هذا الإيجاز واعتمادا على هذه الأشكال – نحاول فيما يلي البحث في الطرح المتبني لفكرة إيديولوجيا الرواية.

أ–الإيديولوجيا في الرواية:

قام **بيير ماشيري** بتطوير نظرته لعلاقة الرواية بالإيديولوجيا، لذلك سنعود إلى أعماله لفهم الإيديولوجيا في الرواية، لأنه تناول في كتابه الموسوم من« **أجل نظرية الإنتاج الأدبي** » حيث ركز في بحث العلاقة (**إيديولوجيا/ الرواية**) على مفهوم المرآة العكسية، كما تمثله **لينين** مركزَ◌ًا على دراسة حول أعمال **تولستوي**، ويلاحظ أن أبحاث« **لينين**» استخدم ثلاثة مفاهيم أساسية المرآة ، التعبير، بإمكانها أنّ تقود إلى بناء نقد علمي للأدب، وهو يلاحظ أنّ

[1] حميد لحميداني: النقد الروائي من سوسيولوجيا الرواية إلى سوسيولوجيا النص الروائي ، ص 55 –73.

هذه المصطلحات استخدمت خارج أي تأطير نظري » [1]؛ أي أن المرآة عند **لينين** لا تعكس الواقع الحقيقي الموجود، لأنها تقوم باختيار ما تعكسه، ومن هنا يأخذ مفهوم المرآة عند **ماشيري** معنى جديدًا يتجاوز فيه المعنى السطحي القديم؛ إذ ينبغي حسب رأيه التنقل بين النص والواقع، ولكن ينبغي بكل بساطة تحليل النص والنظر إليه كبنية مكونة من مجموعة متغيرات معقدّة، وهذه التناقضات المكونّة للعالم الروائي تمثل، أيضًا معطيات أولية، تفتح أبعادا أخرى لتأويلات متناقضة للنص ذاته "[2] يعني أن الناقد لا يجب أن يتنقل بين النص والواقع ولكن يجب أنّ يبحث في النص وهذا من خلال تحليل بنياته باعتبار أنّ النص بنية مكونة من أجزاء متغيرة.

إنَّ التأويل البرجوازي لأعمال تولستوي ناتج عن احتواء النص التولستوي على إيديولوجيتين متناقضتين موجدتين على قدم المساواة، والروائي لم يتحيز لكل منهما. لهذا فالكاتب لا يعتبر بالضرورة عن وضعيته، وإيديولوجيته لا تظهر مباشرة « لأنّ فيها بعض الطموحات التي لم تتحقق في الواقع » [3]، إن فكرة ماشيري التي يرى فيها أنه من خلال « التعددية الممكنة لنتاجات تولستوي فإن هذه النتاجات تبدوا مزاحة عن مركزها ومسلوبة من مميزاتها الخاصة، وهي لذلك لا تحافظ إلا على علاقة سرية مع نفسها وتقسم النتاج هذا، ما هو نفسه يؤثر فيها على علاقة حضور في حالة حصار» [4] تشير هذه الفكرة إلى كيفية دخول الإيديولوجيات إلى النص الروائي، وتعتبر هذه الإيديولوجيات مكون من مكونات بناء النص الروائي، وحسب ماشيري فإنها عندما تدخل النص لا تتمتع بنفس القوة التي تتمتع بها في الواقع، فهي محاصرة. بالإضافة إلى مجهودات ماشيري وتحليلاته التي لم تنفصل، عن إطار الجدلية الماركسية، تأتي الأبحاث المتميزة للناقد الروسي « **ميخائيل باختين** » ويعد من الأوائل الذين تحدثوا عن المكونات الإيديولوجية في الرواية بطريقة ولكن أبحاثه لم تعرف

[1] حميد لحميداني: المرجع سابق، ص 25 .

[2] المرجع نفسه: ص 26 .

[3] المرجع نفسه: ص 28 .

[4] حميد لحميداني: المرجع السابق، ص 28.

في وقتها لأنه كان مضطهدا في روسيا بسبب أفكاره والمعارضة للتصور الماركسي.«عندما يتحدث باختين عن الإيديولوجيات في النص الروائي لا يحدد بدقة هل يقصد المدلول السياسي الضيق أم المدلول الثاني الذي له صلة برؤية العالم » [1] إن المدلول الأول هو المقصود دائما أثناء استعماله للإيديولوجيا، وتصبح عنده أحيانا مجرد صوت واحد فردي يشكل موقفاً مخالفا لموقف الخصم، لذلك فكل بطل أو مجموعة من الأبطال الآخرين لها وجهة نظر معاكسة لأراء الأبطال الآخرين، وبهذا الاختلاف في وجهات النظر المعاكسة لأراء ينشأ الصراع في الرواية [2] .

ويرى باختين أنّ الأساس الذي تقوم عليه الرواية هو الحوارية، و إلى ديالوجية (متعددة الأصوات) ورواية مونولوجية (أحادية الصوت)، فالأخيرة رغم اشتمالها على تصورات مختلفة يجسدها أبطال متعددون إلا أنَّ إيديولوجيا الكاتب هي المسيطرة والمهيمنة والموجهة للعمل الروائي، ترفض أفكار الغيرّ في عالم الرواية، وكل ما هو إيديولوجي ينقسم إلى قسمين « فئة من الأفكار تجسد وعي المؤلف ويتم التعبير عنها وتأكيدها، وتقدم على أنها أفكار صائبة ويقينية، أما الأفكار والآراء الأخرى فهي صائبة من وجهة نظر المؤلف، فيتم رفضها جداليا ومحاصرة تأثيرها، فتقدم كعناصر يتطلبها التشكيل الفني في الرواية »[3] فالرواية المونولوجية عند باختين شاملة لكل مستويات الإيديولوجيا المباشرة منها أو التي توافق المؤلف وغير المباشرة التي تدخل في تشكيل النص الروائي على أنها أشكال فنية ضرورية في صيغ النص صياغة تجعله ينتمي إلى الجنس الروائي. أما الرواية الديالوجية أو الحوارية فالكاتب فيها مطالب بالحياد التام يشترك الحرية المطلقة للأصوات وأنماط الوعي لتقديم إيديولوجيتها والتعبير والدفاع عنها. ويستعمل باختين الدراسات اللسانية الماركسية«التأكيد وجود الإيديولوجيات في بنية الفن الروائي وهو يعتبر أن الدليل اللغوي محمل بشحنة إيديولوجية لا تعكس الصراع الاجتماعي السائد، إنما تجسده وتدخل في

[1] المرجع نفسه: ص 32 .

[2] المرجع نفسه: ص 32 .

[3] عمرو عيلان: الإيديولوجيا وبنية الخطاب الروائي، ص 64 .

سياقه» [1]هذا لأن الكاتب أو الروائي ليس له أي لغة واحدة أو أسلوب واحد في روايته، بل لكل شخصية في الرواية لغتها الخاصة، وصوتها الخاص وأسلوبها وأخيرًا إيديولوجيتها الخاصة، وبهذا فإن الواقع في الرواية حاضر على المستوى اللّساني.

ب-الرواية كايديولوجيا:

إنَّ الحديث عن الرواية كإيديولوجيا يدفعنا إلى استقراء تلك التصادمات التي يعج لها النص الروائي ؛ فعندما ينتهي الصراع بين الإيديولوجيات في الرواية، تبدأ التباشير الأولى لمعالم الرواية بالوضوح للعيان، والرواية كإيديولوجيا يقودنا إلى موقف الأديب من الصراع ؛ فهي تعني بالتحديد رؤية الكاتب وليس موقف الإيديولوجيات المتصارعة داخل الرواية . وهنا، وجب التأكيد أنّ الإيديولوجيات داخل الرواية لا تلعب إلا دوراً تشخيصاً ذا طبيعة جمالية من أجل توليد تصور شمولي وكليّ هو تصور الكاتب[2] وعليه فإنَّ الإيديولوجية في الرواية تتطبع من خلال المواقف الفكرية للشخصيات، بينما الرواية كإيديولوجيا تعبر عن موقف الكاتب ذاته الذي لا يمكن أنَّ يستلهم بشكل مباشر وإنما يتشكل في حدود أبعاد ذلك الصراع. ومهما سعى الكاتب إلى تمويه صوته في الشكل الحواري للرواية، فإنهٌ يميل في النهاية إلى تبطين رؤيته الإيديولوجية، ومن الطبيعي أنَّ يستعمل المبدع في ذلك كل الوسائل الفنية والتمويهية والسياقية حتىّ لا يظهرها التسلط الإيديولوجي بشكل مكشوف مما يؤثر على درجة التأثير في القارئ » [3] .

ولعل ما ينبغي التّنبه إليه، كنتيجة منطقية لما أسلفنا الحديث عنه أنَّ الإيديولوجيا الرواية تكون متصلة، عادة بصراع الشخصيات، بينما تبقى الرواية كإيديولوجيا تعبيرًا عن تصورات الكاتب بواسطة الإيديولوجيات المتصارعة نفسها: فالإيديولوجية ليست مجرد انعكاس بسيط

[1] حميد لحميداني: المرجع السابق، ص 33.

[2] الصفحة نفسها .

[3] حميد لحميداني: المرجع السابق، ص 40.

لأفكار الطبقة الحاكمة؛ إنها على النقيض من ذلك ظاهرة معقدة دوما قد تدمج رؤيا العالم متصارعة ومتناقضة [1].

إنَّ هذه العلاقة الجدلية الموجودة بين الإيديولوجية في الرواية والرواية كأيديولوجيا يمكن أنَّ نجد مثالا واضحا لها من خلال نموذج روائي مغربي، أورده « **حميد حميداني** » في كتابه النقد الروائي والإيديولوجيا [2] في رواية الغربة **لعبد الله العروي** ؛ ففي هذه الرواية تتصارع ثلاث إيديولوجيات رئيسية تمثل كل منها ثلاث شخصيات بحيث يتلخص الموقف العام لهذه الشخصيات الثلاث في انتقادهم لإيديولوجيا الاستعمار، وانتقادهم أيضا، لإيديولوجيا الوطنيين الفاشلين.

هذا ما يتعلق بإنماط الإيديولوجيا الموجودة في الرواية. أما الرواية كإيديولوجيا فتتولد من خلال الصراع نفسه الذي دار بين تلك الأنماط، وقد تم ذلك على مستويين صراع رئيسي وصراع ثانوي.

وفي ختام القول نجد أنَّ الرواية تستوعب الإيديولوجيا بمنظورين؛ الأول باعتبارها التوجه الإيديولوجي الخاص بالروائي الذي يشبه في الرواية بشكل مقصود، وبذلك« فنحن في الحالة الأولى أمام رؤية للعالم يمتلكها الروائي، وهو يمثل في عمله التعدد الإيديولوجي في الواقع، وفي الحالة الثانية نحن أمام إيديولوجيا الروائي وهي تمثل نفسها، وتمثل كاتبها في عمل يفترض أنّ يحايث الواقع، ويحترم تعدديته وحواريته، أي وجوده الموضوعي
وخصائص هذا الوجود »[3].

[1] تيري ايجلتون: النقد الإيديولوجي، ترجمة فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، د ط، 1992، ص 14.

[2] حميد لحميداني: المرجع السابق، ص 37–38 .

[3] جهاد عطا الله نعيسة: في مشكلات السرد الروائي – قراءة حلافية، منشورات إتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط، 2001، ص 45.

فالأيديولوجيا في الرواية تكون متصلة بالصراع القائم بين الأبطال، أما الرواية كإيديولوجيا فتعبر عن تصور الكاتب الروائي، بواسطة تلك الإيديولوجيات المتصارعة (إيديولوجيات الأبطال).

الفصل الثاني

تجليات الصراع الإيديولوجي في رواية " في الظلام"

المبحث الأول: السياقات الإيديولوجية في رواية "في الظلام"

1-الإيديولوجية النفعية

2- إيديولوجيا الرفض والتغيير

المبحث الثاني: تجليات الصراع الإيديولوجي "في رواية في الظلام"

1-الصراع النفسي

2- الصراع الاجتماعي

3- الصراع السياسي

المبحث الأول: السياقات الإيديولوجية في رواية " في الظلام "

إنّ الإيديولوجيا نسق من المعتقدات والمفاهيم تسعى إلى تفسير ظواهر اجتماعية من خلال منظور يوجه ويبسط الاختيارات السياسية والاجتماعية للأفراد والجماعات، وحسب **ماشيري:** فإن حضور النسق ضروري في النص وهو يتمثل في التناقضات الإيديولوجية، ويمكن أنّ نستشفّها في الحوار الدّائر بين الشخصيات، ومن أفعالها أو في كلام الراوي .

وتتضح سياقات الأفكار الإيديولوجية في النص الروائي، من خلال سياقين إيديولوجيين بارزين هما:« السياق الإيديولوجي النفعي، وإيديولوجية الرفض والتغيير؛ فالسياق الإيديولوجي النفعي يشمل كل القيم والممارسات والأفكار، المتصلة بالنزعة الفردية والأنانية، كما يقترب من النزعة المحافظة. أما السياق الثاني فيقف في مواجهة النسق الفكري الأول، وتمثله إيديولوجية الرفض والتغيير التي تحمل نزاعات مفهوميّة، تهدف لتغيير الواقع الفكري السائد، ورفض الممارسات الثقافية الاجتماعية » [1].

1/الإيديولوجية النفعية:

النفعية مدرسة أخلاقية تقول أَنّ القيمة الأخلاقية للفعل يتحدد بمقدار إسهامه في النفع **Utility** العام. بسبب هذا فهي شكل من أشكال العواقبية **Consequentailism** التي تعني أن الفعل يقيم بحسب ما ينتج عنه النفع – محاولة زيادة ما هو جيد – يعرف من قبل عدة مفكرين على أنه السعادة أو البهجة **pleasure** مقابل المعاناة والألم، مع أنّ النفعيين التفضيليين مثل **بيتر سيتغر** يعرف النفع:« على أنه إرضاء تفضيلات الإنسان أي تميل النفعية لاعتبار اهتمامات أي كيان قادر على الشعور بالبهجة أو الألم .[2]

تنطلق هذه الإيديولوجية على أساس المنفعة البراغماتية والمصلحة في تفسير العلاقات الموجودة بين شخصيات الرواية وحقل نشاط هذه الايدولوجيا هو النشاط السياسي

[1] عمرو عيلان: الايديولوجية وبنية الخطاب الروائي، ص 74.

[2] John Stuart Mills essay utilitarianism (1861),utilitarianism, www.Marefa,org.

والتوجه الى النضال والحركة الوطنية وملامح الإيديولوجيا تظهر في شكلين متميزين هما:« الأول عبرت عنه الشخصيات الحاملة لها، أما الشكل الثاني، فيستشفّ من كلام الراوي» [1].

والإيديولوجيا السياسية ترتبط بالأوضاع الاجتماعية التي يعيشها كل فرد وتؤثر على توجهه السياسي، وهي تستند إلى مرجعية واحدة وهي المنفعة .

وقد تمثل هذا النوع من السياقات في رواية " **في الظلام** " في نقطتين هما:

1-1-إقامة جمهورية ديمقراطية مستقلة:

في رواية "**في الظلام**" نجد بعضاً من الشخصيات التي تحمل هذه الايدولوجيا؛ مثل شخصية **فريد الحلواني**؛ طالب الحقوق في الجامعة، يقطن بقرية **شرشابة** حلمه أن يصبح وكيل نيابة مرموق في بلده، الذي كان متحرر إلى حد ما ويسعى جاهداً إلى الانضمام إلى الحركة الوطنية .

فريد الحلواني، يسعى إلى مواصلة كفاحه والانتماء في النشاط السياسي المسلح مع صديقه **عبد المجيد** هذا الأخير ينتمي إلى الحركة الوطنية والالتقاء بالضابط **فرحات السروجي** .

– اطمئن ....سأسارع للقائه ولن أتردد ... لكن من الآن فصاعداً سا أحاول مناقشة الأمر بروح الأخوة والمشاركة في الكفاح » .

–إذن ستأتي معي غداً ؟

– بالتأكيد !.. [2]

من أجل بناء جمهورية متحررة ضد الملكية والاستعمارية بأي ثمن؛ في وقت بلغ فيه **الملك فاروق** عنفواته وكثرت عيونه وأذانه في كل مكان !...

فريد الحلواني وعبد المجيد ثوار ضد الملكية والاستعمار، حيث قال **فريد** في حماسة:

---

[1] عمرو عيلان: الرواية والايديولوجيا، دراسة تطبيقية في رواية عبد الحميد بن هدوقة، مخطوط رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 1995م، ص 55.

[2] نجيب كيلاني: "في الظلام ،دار الصحوة للنشر و التوزيع، الجزائر، ط1، 2015، ص 19.

– أنسيت أننا ثوار ؟ ثوار ... افهم هذه الكلمة الضخمة، وضد مَنْ ؟؟ ضد الملكية..والاستعمار.. وأذنا بهما، والثورة نار.. مغامرة..عمل.. ولا مجال للمترددين.

– نعم ..إنها عمل لكنه منظم، ونار لكنها لا تتبدد في الهواء آو تحرق أنا ملنا نحن، دون فائدة نجنيها من وراء ذلك[1].

نحن هنا أمام موضوع الرغبة وهو طلب الحرية وفك قيود النظام الطبقي(الملكي)

– **ففريد** مضطر لمقابلة الضابط **فرحات السروجي**، كما طلب منه وتنفيذ أوامره لمواصلة نشاطه السياسي، والالتحاق بالجامعة للدراسة في كلية الحقوق، ومن أجل العمل والبناء والتنسيق .

بالإضافة إلى **فريد وعبد المجيد**، نجد شخصية قوية، ولكنها نفعية الضابط **فرحات السروجي**؛ ضابط برتبة ملازم أول في الجيش، لكنه أراد استكمال دراسته القانونية بالحقوق، لا يفسح صدره لأحد، ويعتد بنفسه وأفكاره لدرجة خطرة ... وينظر إليهم على أنهم مجموعة من الجنود في فرقته ..أولئك الجنود الفلاحين ..يمين بيمين ، شمال شمال، هكذا يريد " **فرحات السروجي**" ولا يسمح لأحد أنّ يناقشه في أمر من الأمور..فالأصدقاء كلهم له سامعون، إذا قال ولا الضالين، قالوا أمين، كان لقاءه مع فريد بالمصادفة فأحاديث ودية فمناقشات سياسية وغير سياسية والتقت وجهات النظر، وبعد ذلك صارت الزمالة المجردة أخوة متينة، ودخلت في طور جديد، وشملت وجوهاً جديدة، كلها اجتمعت على رغبة ملحة وهي الخلاص من الملكية المستبدة والظلم والاضطهاد .

ويتضح أَنّ الضابط " **فرحات السروجي**" قد تمسك بنقطة ضعف **فريد**، واستغله لصالحه وجعله ينظم إلى الحركة الوطنية بالرغم من أفكاره كانت مختلفة تماماً عن مبادئ الحركة .

وهكذا مرت على **فريد وعبد المجيد** أيام شديدة قاسية، كلها اجتماعات ومنشورات ومطاردات ومفرقعات، "**وعبد المجيد**" و" **فريد** " أثناء ذلك في دوامة عنيفة تصطرع فيها لذة

[1] نجيب الكيلاني: في الظلام، ص 18.

الكفاح مع خيالات السجن، وفيها من التهور بقدر ما فيها من الحذر، وفيها من الدموع بقدر ما فيها من ابتسامات الأمل، وأفاق" **عبد المجيد**"من شروده على وكزة خفيفة من يد **فريد:**

حدث بالأمس أَن رأيت صورة عابرة، قد تكون تافهة لكنها يا "**عبد المجيد**" قد لفت نظري إلى حقيقة مهمة.

– ماذا حدث ؟..

– ثرثرة أطفال على شاطئ الترعة .. كانوا يرسلون الكلمات في سذاجة وقطرة صادقة ..

–أحدهم يقول: من منكم يستطيع أَنّ يقفز هذه الترعة ؟

– فرد عليه آخر: مستحيل، ولا الملك.

– فرد ثالث: الملك!! إنه يستطيع أَنّ يقفزها.. بل وأكثر منها.. الملك يستطيع أَنّ يقفزها برجل واحدة...» [1].

فالحوار الذي دار بين **فريد** وصديقه بقول هذا الأخير بضرورة التوفيق بين مطالبهم الذاتية وواجباتهم الوطنية.

وهناك تجلي آخر لهذا النوع من السياقات الإيديولوجية النفعية، وهو تلك الحركة الوطنية السياسية السرية " **في القاهرة** "،التي تسعى في الظاهر إلى القضاء على الاستعمار والظلم ضد **الملك فاروق**، وفي الباطن إلى إقامة جمهورية مستقلة والحكم بأي طريقة .

كانت الحركة الوطنية من الجانب النظري آو الشكلي، حزب يسعى إلى التغيير وتحقيق الانتصار، ومبادئها الأساسية هي الحرية، الاشتراكية، أما من الجانب الداخلي أو الضمني فهي حزب نفعي أكثر من أنه تغييري وتسعى إلى القضاء على الملكية الظالمة، وهي على قائمة أولوياتها .

إذن فالحركة الوطنية السياسية تحمل في طياتها الإيديولوجية النفعية، فهي تظهر أنها تبحث على الحرية والنور لأنها ملت العيش في الظلام؛ ولكنها تخفي رغبتها الشديدة في الوصول إلى الحكم ضد **الملك فاروق** .

[1] نجيب الكيلاني: "**في الظلام**"، ص 20 .

2-1 المراجع والفلسفات الفكرية:

التوجّه الإيديولوجي النفعي لا يظهر فقد في البحثّ عما يخدم المصالح الشخصية بشكل ظاهر، وإنمّا يظهر في الآراء التي تواجه وترفض التغيير الذي يمس مصالحها، وفي رواية "**في الظلام**"، يتضح هذا التوجه الإيديولوجي من خلال المناقشات الفلسفية والفكرية التي حدثت بين شخصيات الرواية، هذا لأنّ لكل واحد منهم مرجعيته الفكرية الخاصة به.

وهذا السياق يسعى إلى الجمع بين المصلحة والمنفعة الشخصية وبين التيارات الفكرية المحافظة فنجد مثلاً شخصية الضابط "**فرحات السروجي**"الذي وضع تقريراً وقال فيه:

أيها الزملاء، واضح جداً أَنّ الحالة تزداد سواءً، والملك يزداد طغياناً واستهتار في أمور البلاد وأموره الخاصة، والإنجليز قد استقروا ناعمين في منطقة القتال في بحبوحة وامن وسلام ...

فالطريق– أيها الأصدقاء كما ترون – محفوف بالشوك والأخطار، وهذا يتطلب منا مضاعفة الجهد، ومداومة الكفاح حتى تسقط الملكية، وتقضي على الإقطاع والاستعمار، ويتنحى زعماؤنا مشكورين ».[1] وبهذا فإن تغيير النظام الملكي والطبقية، إذ يعتقد أن أكبر جريمة ارتكبها الملك الذي تنعم عليهم بالسلطة الموهومة القذرة التي يعلمون بها الشعب كيف يألف الذل والهوان.

وعندما انهمك الجميع في قراءة التقرير بعناية وتأَنَّ، بينما أخذت نظرات« **فرحات السروجي** » تدور بين الجميع لترى ما علا وجوههم من انفعالات وتعبيرات – ليأخذ رأيهم فيه ويسمع مقرحاتهم فيما يخص بالمستقبل .

رفع « **عبد المجيد** » رأسه وتكلم:

[1] نجيب الكيلاني: " في الظلام "، ص 77 .

– إنني أريد أَنّ أعلم هل لنا فلسفة خاصة نسير عليها، أم أننا نتخبط في سيرنا ونمضي أينما تقذف بنا الريح ؟ .. إنّ هناك كثيراً من المسائل غير واضحة في أذهاننا لهذا ترانا نتصرف فيها تصرفات مضطربة و متناقضة أحياناً »[1].

فالضابط "**فرحات السروجي**" لا يقصد الفلسفة بنصوصها وجمودها، وإنما يقصد خطة السير، علاقاته مثلاً بالأحزاب،... نظرته للأديان المختلفة في بلاده، مسألة الكفاح المسلح، سياسة المظاهرات والمنشورات ... كل هذه تحتاج إلى بحث، وإقامة جمهورية مستقلة .. وإيجاد شعب واعٍ متكافئ في الفرص، فإذا قامت الجمهورية أنهوا الجزء الأكبر من واجبهم.

على حد قول الراوي:« إنّ إدخال الفلسفات وحشود النظريات في مسائل الكفاح الوطني لمما يعوقها، ويدفع بنا إلى الجدل الفارغ ... ومن نحن حتى نفرض على الشعب فلسفة معينة، ونرغمه على المصير الذي يمضي إليه ». [2] الضابط" **فرحات السروجي**" يحاول إقناع أصدقائه بسبب النظام الجديد الذي حكم مصر في الفترة ما بين [**1947– 1952**] فهي فترة اهتزاز في القيم واضطراب في المفاهيم...وارتباك في شتى الشؤون السياسية والاجتماعية والوجدانية... فترة قلق وحيرة !.. وهو يحاول جاهداً لإعادة الحرية فوطنهم يسعّ المسيحي واليهودي والمسلم، فوراءهم عمل لا مناقشات، لأن كل فرد فكره وتصوره الخاص، خاصة "**عبد المجيد** " يحاول هو أيضاً تغيير النظام والإطاحة بالنظام الملكي.

إذن نفهم من الإيديولوجية إنها تشمل حقلاً فلسفياً متكاملاً وفقا شروط ومرتكزات تنطلق في الأساس مِنْ النفعية والبراغماتية، في تفسير العلاقة الاجتماعية .

2/ إيديولوجيا الرفض والتغيير:

وهذا الموقف يؤسس فعله السردي على سمات نظرية استوعبت دور الفاعلين في النص والبيئة الاجتماعية المشخصة سردياً، ويتميز خطاب الرفض في الروايات بحضور

[1] نجيب الكيلاني: في الظلام، ص 77.

[2] المصدر نفسه: ص 78 .

يمتد بين نزعة التغيير الجذري والشكلي والعمل على إلغاء الخطاب المناقض، وبين نزعة التغيير والتعديل الجزئي المتصالح مع أنماط انتقائية للواقع وامتداداتها التنظيمية والفكرية، وكل العلائق التي تسير حركية وأنساق تفاعلاتها الإعتقادية »[1].

– يشكّل البناء السردي الرواية " **في الظلام** " محاور تجاذب وتنافر لجملة البنى الذهنية المكوّنة للطرح الإيديولوجي في شكل مواجهة وحوار بين المواقف المختلفة، إذ تنعكس هذه الإيديولوجيات المتناقضة على مواقف الشخصيات الروائية وسلوكاتهم عبر تنامي الأحداث واختلاف الفضاءات المكانية والزمانية وفي رواية " **في الظلام** "، عدة تيارات فكرية، وعدة إيديولوجيات، وتظهر من خلال حوار الشخصيات، وفي مواقفها المتعددة، ونجد خطاب إيديولوجية الرفض والتغيير يظهر في صور المواقع من الواقع، ويتميز هذا الخطاب في الرواية "**في الظلام**"بالرغبة في التغيير والإصلاح والعمل على إلغاء الخطاب المناقض والمعاكس. وإيديولوجية الرفض والتغيير في الرواية« ليست إيديولوجية سائدة ومنتشرة بل هي إيديولوجية تصارع من أجل السيادة والتحقق، وتطرح نفسها بديلاً عن الإيديولوجية السائدة وتسعى لتغييرها مستعينة بذلك بمشروعها الفكري النظري الذي تدعوا إليه»[2].

تحمل شخصيات الرواية "**في الظلام**" هذا السياق الإيديولوجي، ويظهر ذلك في الحوارات والمناقشات التي دارت بين"**عبد المجيد**"، والضابط " **فرحات السروجي** "والشيخ" **بسطويسى**"، "**ووفريد الحلواني**" وبعضهم من الشخصيات؛ لأن كل شخصية تسعى إلى تغيير واقعها بطريقتها وبأفكارها التي تقتنع بها، ويمكن أن نلخص هذا السياق في نقاط أساسية وهي:

2-1تحقيق القضية والسعي للنشاط المسلح :

تبرز لنا هذه الإيديولوجيا في السّرد الروائي، من خلال أفعال الشخصية الرئيسية "**فريد الحلواني** " الذي يسعى إلى تغيير الواقع من خلال انضمامه إلى الحزب والحركة

[1] رميسة جغوبي: الصراع الإيديولوجي في رواية " **ارهابيس** "، لعز الدين ميهوبي، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الأداب واللغة العربية، تخصص، أدب حديث ومعاصر، جامعة محمد خيضر، بسكرة، 2015/2014، ص 27 .

[2] عمرو عيلان: الرواية والإيديولوجيا، ص 68 .

السياسية، وهذا كله من أجل تحقيق حلمه ويصبح وكيل نيابة كبيراً في بلاده وقريته "**شرشابة**"، القرية القديمة المعطاة المنفتحة على الحياة رغم قساوتها. تبدو لنا شخصية **فريد** محورية إذ بها ينسج السرد معظم العلاقات في هذه القصة.

بالإضافة إلى " **فريد الحلواني** " نجد شخصية " **عبد المجيد** " هو الأخر مصمم على تغيير الواقع، فاضطر **عبد المجيد** السفر إلى القاهرة وهذه الأخيرة هي مكان العمل، والدراما والكفاح، مكان العمل الشاق، والالتقاء في بيت الشيخ **بسطويسي** مكان التجمع السياسي السري ومتنفس الحرية .

حيثّ نزل **عبد المجيد** من الترام رقم 04 في قهوة " **السمر** " وهي تقع في أول شارع قدري باشا ويؤمها بعض كبار الموظفين وغيرهم من ذوي اليسار ...» .[1]

" **الشيخ بسطويسي**"؛ شاب أزهري في كلية اللغة العربية، قصير القامة، متين البنيان، يحرص على التكلم باللغة الفصيحة، ويكثر من الاستشهاد بمأثور الشعر والنثر، لا تفوته مشكلة إلا ويفتي فيها بالحلال والحرام، لكنه مع ذلك مرح يحب النكتة، وقد يتمادى في هذره، فيتبادر إلى الأذهان أنه لا يمت بسبب التقليد الأزهري المتحفظ اللهم إلا زيه الرسمي ..

فالتقى" **عبد المجيد** " **بالشيخ بسطويسي** " في شقته التي تقع في شارع الصليبة، المنزل رقم «....» [2].فقال **الشيخ بسطويسي لعبد المجيد:**

ولكن لِمَ لم يأت « **فريد** » ؟ لعل المانع خير ؟ لأن الضابط **فرحات السروجي،** سيثور عندما يعلم بتأخير « **فريد** » .

– لا داعي لغضبه لأن « **فريد** » سيأتي إلينا في بحر يومين ..

– إنه ينتظركم في شارع الصليبة .. في شقتي ..

– لِمَ ؟ .. هل غيرت سكنك ؟ ..

– طبعاً .. الشاعر يقول ..

[1] نجيب الكيلاني: في الظلام، ص 50 .

[2] نجيب الكيلاني: في الظلام، ص 76 .

وإذا سكنت بمنزل ليس به بنت تبادلك الغرام فعزّل[1].

– وهكذا صارت تلك الليلة بين **عبد المجيد** والشيخ **بسطويسي** كلها خطباً و قصائد، وأشعار و**فرحات** لا ينام الليل من التفكير والإعداد .. وقد كتب **بسطويسي** قصيدة حماسية جديدة وقال فيها:

يا إخوتي أشبال مصر يا تباشير الصباح !..

يا بسمة الفجر الوضئ على الروابي والبطاح !..

غداً تدق طبولنا يوم المسير إلى الكفاح ! .. [2].

فالمعركة إذن ضد الملكية والاستعمار، تحتاج إلى تضافر كل القوى، وتعبئة كل المجهودات، وحشدها في ميدان واحد، فالشعر والخطابة والرسم والقتال والتعليم كلها أسلحة لا غنى لهم عنها، فأحاديث الضابط "**فرحات السروجي**"عن **روسو وڤولتير** وغيرهما ممن مهدوا للثورة الفرنسية، وعن **جوركى وتولستوي** وما قدماه للثورة الاشتراكية في روسيا .. هؤلاء كانوا طلائع الكفاح، والشعاع الذي أضاء الطريق للأحرار

فالشيخ **بسطويسي** كان مكلفاً دائماً بكتابة المنشورات ..صاحب الشعر الرنان ؟ فهو يريد تغيير الواقع ويجمع ملايين الشعب المصري في فصول دراسية تمتد من البحر الأبيض حتى السودان ..ويقيم في كل زقاق وفي كل بيت وفي كل مجتمع مدرسة ويقصد المدرسة بمعناها الكبير، لا تلك التي تحدها الجدران، ويسوسها ناظر ومدرسون ..

فنحن هنا أمام رغبة وهي ثقة الناس فيهم، وهم كمكافحين، يجب أَنّ يكونوا قدوة لهم، ويبادروا بتقديم الخير لهم حتىّ ولو قابلوهم بالشر .. يجب أَنّ يكونوا كباراً فلا يحملوا ضغينة لحزب من الأحزاب.. بل ينظروا إليهم كتائهين يتلمسون الطريق، يجب أَنّ يكونوا جبهة واحدةً..

---

[1] المصدر نفسه: ص 59 .

[2] نجيب الكيلاني: في الظلام، ص 61 .

الجميع يجلسون في صمت وترقب، ثم عادوا للاجتماع مرة ثانية بشقة "**الشيخ بسطويسي**" ووزع" **فرحات السروجي**"على كل واحد منهم العمل المنوط به مستقبلاً ، وأجاب على كثير من الأسئلة الموجهة من الأعضاء بصدر أوسع، وصبر عظيم، فاستعادت الجلسة هدوءها وطبيعتها، أما بالنسبة لمقترحات « **عبد المجيد** » فقد اتفق مع « **فرحات سروجي**» على ميعاد يلتقيان فيه، حتىّ يصلا إلى نتائج حاسمة وسريعة، كما أنهما اتفقا على أَنّ يرسلا خطاباً موصى عليه إلى "**فريد الحلواني**" حتىّ يعود بسرعة إلى القاهرة ...

وعقب الاجتماع قال **فرحات**" لـ **عبد المجيد**":

– أو مستعد أنت للذهاب إلى طنطا في آخر هذا الأسبوع لمهمة عاجلة ؟ .

– كل الاستعداد.

– ثم تلفت " **فرحات السروجي** " ونادى « **بسطويسي**»:

– وأنت يا **بسطويسي**، ستصلي الجمعة في الأزهر هذا الأسبوع، فلا تنس أَنّ تأخذ معك حقيبتك وتنشر كل ما فيها .. لكن عليك الحذر...فتمتم الشيخ « **بسطويسي**»:« **وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ**» [التوبة 105][1].

نجد أَنّ إيديولوجية التغيير في الرواية عند"**فريد الحلواني**" عندما تلقى خطاباً من عند صديقه "**عبد المجيد**، يدعوا فيه للحضور إلى القاهرة، وفؤاده ينز بالأنين المكتوم، لقد برم فريد بكل شيء، إنّ هؤلاء الناس الذين يحبهم، يوهي مستقبله وراحته قرباناً من أجلهم ومن أجل إسعادهم والعمل على إقامة جمهورية حرة بينهم .

إنّ الحركة السياسية في ظاهرها تعمل على تغيير الوضع السياسي، ورفض العدو والنظام الملكي، لأنّ هذه الحركة تعتبر نفسها جسراً بين حكم الملك والشعب المصري، وترى بأنّ قيادة الشعب الذي يأوي إليه الأحرار دعاة الجمهورية، لإشعال الصحافة وانقلاب الرأي العام رأساً على عقب .

[1] سورة التوبة: الآية 105.

1-المرأة ورغبتها في التغيير:

احتلت المرأة مكانة متميّزة في رواية،" **في الظلام**" وذلك بموقفها الصارم وإرادتها القوية في تغيير واقعها، والتخلص من القيود التي يربطها به المجتمع، بالإضافة إلى أنّها تسعى إلى التخلص من سيطرة الأب والنموذج الذي يمثل هذا الموقف الرافض هو شخصية **نهيرة** ".

نهيرة فتاة جميلة، تهوى الفلسفة كما تهوى أيضاً الحساب والرياضة، يقع بيت والد **نهيرة** في الناحية الشرقية من قرية "**شرشابة**"، وكان البيت ملازماً وكافياً **لنهيرة** ووالدتها ووالدها وخادمتهم .. وكان والدها يقوم بعمل وكيل مكتب بريد« **سنباط** » الواقعة على بعد ثلاثة أميال من " **شرشابة** "، لهذا فهو يقضى سحابة اليوم في« **سنباط** » ثم يعود أخر النهار إلى **شرشابة**.

تعثرت " **نهيرة** "في دراستها ولم تتجاوز الثالثة الثانوية، فآبت إلى البيت حسب وجهة نظر والدها حتىّ يأتي إليها « **ابن الحلال** » ليأخذها إلى البيت الزوجية .

فكان يعشقها كل رجال قرية« **شرشابة**» فألفوا جميعة وسموها "**جمعية الحب**" ؟ عندما كانوا أنذاك في مدرسة « **سنباط الابتدائية** »، فقال أحد يومها: ومن نحب ؟ فرد صاحب الاقتراح قائلاً: نحب **نهيرة**» ..

- كلنا ؟
- أجل ، كلنا ..
- أنا أحب عينها اللتين تشبهان عيون بنات الحور .
- أما أنا فأحب شعرها الذي يشبه شعر الجنية الساحرة .
- خذوا ما شئتم لأني أحب شعرها الحلو الجميل .
- ولى أنا أنفها الذي يشبه البلح الشّامي .
- أحب لونها الخمري الجميل[1] .

[1] نجيب الكيلاني: في الظلام، ص 47.

لكن **نهيرة** فضلت "**فريد الحلواني**" على غرار بقية الرجال، وكان أول لقاء بين **نهيرة وفريد** على شاطئ الترعة الصغيرة وهما لا يزالان طفلين يلعبان ويعبثان مع الأطفال، وإنّ كان «**فريد** » يكبرها بعامين اثنين، وكان اللقاء الثاني وهما طالبان في مدرسة الإرسالية الأمريكانية الابتدائية **بسنباط**، حيثّ كان الاختلاط مباحاً بين البنين والبنات في فصول الدراسة ! بينما واصل "**فريد** " تعليمه بنجاح حتى وصل إلى الثالثة في كلية الحقوق **فنهيرة** تحب **فريد** بكل كيانها وقلبها ولو كان فراشاً كأبيه لاقتفت آثاره إلى حيث يريد، ولقبلت مكنسته التي يكنس بها المدرسة، وتشبثت بأهدابه إلى آخر الدنيا .. لقد آمنت الآن أَنّ الحب لا يعرف المنطق و التقنين، فقالت صديقتها **فردوس**:

ولم لا أحبه ؟؟ .. شاب ناجح مرموق، ومظهر مقبول وسيم، ثم إنه يفديني بروحه ويجعل رغباتي فوق كل اعتبار..[1]

و**فريد** يحب ..أنفها ..شعرها..ثغرها.. لونها ..كل شيء فيها يدعو للحب. ونحن بالنظر إلى هذه العلاقة باتجاهها من **نهيرة** نحو **فريد**، فستقبل هذا الحب وتعبر عنه، ومن هنا نجد العلاقة متبادلة بين الطرفين.

دخل« **فريد** » بعد أَنّ فتحت له «**نهيرة**» الباب، بينما استأذنت صديقتها وخرجت .. وكان يبدو على وجهه نظراته الحانقة إلى «**نهيرة** »وما إنّ لمحت هي ذلك حتىّ إجتاحتها الدهشة .. لقد عهدته خجولاً في حضرتها، لا يجرؤ على توجيه مثل هذه النظرات ! أوإظهار ذلك الغضب وهتف « **فريد** » في حنق:

– ماذا كان يفعل« **عبد الرحمان أفندي** » هنا ليلة أمس ؟؟

– أتى كالمعتاد مع زملائه المدرسين لزيارة والدي..إنّ بيتنا مفتوح للزّوار والأصدقاء ولا غرابة في ذلك !

– للزوار ، لكن « **عبد الرحمان أفندي** » المدرس لا ..

– ولِمَ؟؟ ..إنه يزورنا كما تزورنا أنت ![1]

[1] نجيب الكيلاني:في الظلام، ص 24.

-« **وعبد الرحمان أفندي** »؛هذا مدرس في « **مدرسة شرشابة الأولية** » وحاصل على شهادة الكفاءة وقد سبق له أَنّ طلب يد « **نهيرة**»، وأوشك أبوها أَنّ يوافق لولا أَنّ ظهر« **فريد** » في الأفق فرجحت كفتهُ، رغم أَنّ والد « **فريد** » فراش في المدرسة التي يشتغل فيها« **عبد الرحمان أفندي** » !

وبعملية حسابية استطاع والد« **نهيرة** » أَنّ يقدر ما لدى« **فريد** » من ميزات، ولا عيب في أن يكون والده فراشاً ؛ لأن الفتي من يقول هأنذا، وليس الفتي من يقول كان أبي..[2]

ولم تخفت حدة المنافسة بين« **فريد** »و« **عبد الرحمان**» لأن الأمر؛ لم يبرم **لفريد** بصفة نهائية، **وعبد الرحمان** لم يفقد الأمل كلية، يشهد بذلك كثرة تردده على والد « **نهيرة** » وتلبية كل ما يطلب منه ويشهد بذلك أيضاً تأنقه في ملبسه وحديثه، ومحاولاته المتكررة التي يلاحق بها « **نهيرة** » وأسرتها ..**فنهيرة** تكره **عبد الرحمان** وترفضه لأن« **فريد** » لم يتفق معه على صورة ترضيه، وعلى كُلٍ كان يعتقد انه كلما زاد الصراع وكثر المتنافسون كان هذا مدعاة لإقرار الموضوع وحسمه على صورة ترضيه .

الحب الذي يكنه الطرفان **لنهيرة** وهذه الأخيرة هي بدورها لا تستقبل حب **عبد الرحمان** وتعبر عنه بموضوع رغبة هي الكره .

إنّ العمر بغيرها صحراء مقفرة حارقة يكتنفها الملل القاتل واليأس المرير، إنّ حياة **فريد** قبل ذلك كانت غباء.. وفراغاً..وخداعاً وإنّ خُيِلْ إليه انها كانت مليئة بالجمال، عامرة بالنجاح والكفاح .. والآن لقد اهتدى أخيراً إلى الحقيقة .. ولو حاول أحد – سواء **عبد الرحمان أفندي** » أو غيره – أَنّ يحجب عنه هذه الحقيقة آو ينال منها أو يشاركه في الاستمتاع فيها، لو حاول احد ذلك لقطع « **فريد** »رقبته وليكن بعد ذلك ما يكون ..

[1] المصدر نفسه، ص 29.

[2]نجيب الكيلاني: في الظلام، ص30.

ودخلت الأم، وسرعان ما فهمت الأم أَنّ الموقف متأزم، وأَنّ العلاقة بين **فريد ونهيرة** ليست على ما يرام، أقبلت على **فريد** مصافحة وقبلته في وجنتيه، وقادته إلى حجرة الجلوس مرة ثانية، قالت أُمّ « **نهيرة** »:

– مالي أراك مبتئساً ؟ لابد وأنها أغضبتك

فقال وهو يتصنع الهدوء:

– أنا قلت لها ستين مرة ومرة إنّ « **عبد الرحمان أفندي** » يجب ألا يأتي هنا.. [1] فالأمر هنا لا يحتمل التردد آو التخاذل لأنه يتعلق بكرامته وسمعته، وبشخصية **نهيرة** من **فريد** ومركزها الأدبي.

فطلبت أُمّ **نهيرة** من **فريد** أن يأتي هو ووالده ووالدته وبعض أعيان البلد لخطبة« **نهيرة** » ولن يحتاج الأمر لأكثر من اسورتين من ذهب، فتدخل المسألة في الطور الرسمي الطبيعي، زواج بسنة الله ورسوله ؟.

ففريد كان يعتقد لا يحتاج لمثل هذه السرعة، فهو لم ينته بعد من دراسته الجامعية ووالدته ليست على ما يرام، وحالته المالية في حاجة إلى التحسن والاجتهاد، أو بمعنى أوضح كان يرى تأخير هذه الخطوة لفترة تالية، مادام هناك محل للثقة بين الطرفين، ومادام قد ارتبط معهم بكلمة الشرف، لكن يبدوا أَنّ كلمة الشرف وحدها لم تقنع والد « **نهيرة** » ووالدتها، حتىّ قال :

– موافق..

– متى ؟

– بعد غد ..

– والسفر إلى القاهرة ..؟

– سأؤجله يومين أو ثلاثة ..[2]

---

[1] نجيب كيلاني: في الظلام ن ص 31.

[2] المصدر نفسه:ص 35.

فابتسمت **نهيرة**، واقتربت من« **فريد** » حتىّ وقفت بجانبه لا يفصلهما شيء، وقالت وقد رفعت إليه وجهها في عاطفة جياشة:

– عدنا للشك والغيرة من جديد ..

– ولما التفت إليها « **فريد** » همست قائلة:

– سا أقابله لكي أقول له إنه يجب ألا يعود إلينا مرة ثانية .. وسا ازف إليه خبر ارتباطي بك إلى الأبد [1].

ولم يدرِ **فريد** كيف حدث أن طوقها بذراعيه، وكيف استسلمت له فغابا في قبلة طويلة لم يفيقا منها إلا على صوت الأُمِّ، وشعر **فريد** بالخجل الشديد ولكنه ينتفض بشدة، ويشعر بلذة لم يشعر بمثلها طول حياته، إنها تجربة لذيذة ممتعة رغم ما شابها من حرج وملابسات، ولو كان« **فريد** » يعلم ذلك من البداية لما تردد لحظة في تنفيذ ما طلبته الأُمِّ قبل ذلك بشهر، بعام ، بثلاثة . بدت **نهيرة** في نظره وكأنها الأمل والحياة وسر البقاء.

المبحث الثاني: تجليات الصراع الإيديولوجي في رواية "في الظلام "

1. الصراع النفسي:

تعرفه **نادية** عيشور:« أنه يعكس دائماً علاقة اصدامية نتيجة وجود تناقض بين أطراف هذه العلاقة حيث تحصر مجاله في اللاشعور »[2]، ومنه فهو عبارة عن علاقة تضارب واصطدام بين أكثر من طرف حيثّ يتمركز عن الإنسان في اللاشعور.

إنّ رواية " **في الظلام** "هي رواية غنية بالصراعات من حيث أنها سيرة ذاتية تحاكي حياة الراوي بكل ما فيها من أفراح وأقراح، والصراع الذي عايشه الراوي في حياته هو ذلك الصراع الدائم المستمر لا الصراع المؤقت العابر. **ففريد** نشأ في وأسرة فقيرة ومعركة قاسية وطويلة للغاية. وفي الرواية انقسم الصراع النفسي إلى قسمين: صراع داخلي، وصراع خارجي.

---

[1] نجيب الكيلاني: في الظلام، ص 37 .

[2] نادية عيشور، الصراع الاجتماعي بين النظرية والتطبيق، دار بهاء الدين، قسنطينة، ط1، 2008، ص 39 .

1.1 الصراع الداخلي: وتجلى في صراع الراوي مع نفسه وواقعه، حيث عاش في تلك القرية القديمة المنفتحة رغم قساوتها، حياة صعبة وعنيفة ولكنه كان مقداماً وشجاعاً لا ينحني . **فريد** الذي يقع منزله في زقاق ضيق، فكان مصارعاً بارعاً لواقعه الذي امتزج فيه الفقر وقد كان ابناً لعائلة فقيرة فأمه **حميدة** تعمل غسالة في أحد البيوت و "**الحلواني** " والد **فريد** يعمل فراشاً في المدرسة الأولية بالقرية منذ سنوات عدة، عُرف خلالها بالأمانة والإخلاص في عمله، كما عرف بالحب والسهر على راحة أسرته، فلم تحدثه نفسه في يوم من الأيام أَنّ يدخن أو يسهر في أحد البيوت التي تتداول فيها المخدرات، ولقد أحبه ناظر المدرسة ومدرسوها؛ لأنه لم يتأخر مرة عن خدمة يطلبونها منه، أو أي عمل يكلفونه به.

واستطاع والد« **فريد الحلواني** » بمرتبة الضئيل مضافاً إليه ما كانت تحصل عليه زوجته من غسل الملابس في البيوت الميسورة، مثل بيت حضرة الناظر والسادة المدرسين، استطاع الحلواني أن ينفق على ولده« **فريد** » حتى تحصل على شهادة توجيهية ثم التحق بكلية الحقوق، وأدرك « **فريد** » مدى ما بذله والده ووالدته من أجله؛ فسارع إلى الحصول على وظيفة مدرس في إحدى المدارس الأولية بالقاهرة إلى جانب عمله كطالب في الكلية، وهذا ما أشار إليه الكاتب في قوله:« حتىّ يخفف عنهما العبء ويمدهما بما زاد عن حاجاته من مرتبه » [1]. ولكن بصراعه استطاع التغلب على الحواجز التي واجهته في حياته، فلم يكن الفقر مانعاً له من التقدم نحو الأمام، وهكذا تركت والدته عملها في البيوت الميسورة وبقي والده كما هو في وظيفته، وتزوجت في هذه الأثناء أخته « **ريحانة**»زيجة لا بأس لها. وشقيق « **فريد** » الأكبر – قد مات غريقاً عدة سنوات، حينما كان يشتغل عاملاً في شركة الغزل والنسيج بالمحلة الكبرى .

وسارت الأيام على هذه الوتيرة، **فريد** ينتقل من نجاح إلى نجاح، **والحلواني** بين بيته ومدرسته، أما «**أخوات** » جدة « **فريد**» لأبيه، فهي ما زالت كعادتها من سنوات تبيع الترمس والحلوى المتخصصة والبطاطا المسلوقة على ناصية الشارع الرئيسي في القرية.

[1] نجيب الكيلاني: في الظلام، ص13 .

ولقد كان أول تحدي حقيقي للراوي:« **فريد الحلواني**» هو دخوله النشاط المسلح والسفر إلى القاهرة للدراسة في الجامعة، ولكن على حد الرواي اسمع يا «**عبد المجيد** » سأسافر لمقابلة الضابط «**فرحات السروجي** » كما طلب مني، وسأنفذ أوامره .. [1].

ففريد مضطر للبقاء لإتمام خطبته من حبيبته **نهيرة**، وهذا ما أشار إليه الكاتب « ستسافر غدا وحدك إلى القاهرة وأنا كما ترى مضطر للبقاء هنا يومين آخرين »[2] .

تنفس« **فريد** » الصعداء، وشعر بالراحة الممزوجة بالسعادة تسري بين جوانحه، فتصبغ كل شيء حوله بالبهجة والجمال، وأخذ يستعيد أمام فكرة صورة هذه الليلة الخالدة بما فيها من أفراح شملت الجميع.

« **نهيرة** » بابتسامتها الحلوة، والبشر الطافح على وجهها، وأمها التي تربت على كتفها في حب وإشفاق بالغين وجدته « **أخوات** » وهي تقبله، وأمه قد تناست مرضها وشقاءها، ولم تعد تذكر إلا« **فريد** »وخطبة «**فريد**» والسعادة التي تشمل الجميع، ووالده « **الحلواني** » وهو ساكن هادئ، أما أخته «**ريحانة** » فقد أرسلت الزغرودة تلو الأخرى.. وهكذا مرت الليلة بألوانها البهيجة على خير ما يرجو فريد .. غير أَنّ « **عبد الرحمان أفندي** » الغريم العنيد، أقبل على« **فريد** » بعد انتهاء الحفلة مسلماً وقال: ألف مبروك يا أستاذ « **فريد** ».

وتذكر« **فريد** » ما بلغه من تصرفات « **عبد الرحمان أفندي** » الخرقاء، وسلوكه الذي لا يدل على رجولة، وشعر بأن بغضه **عبد الرحمان أفندي** فوق مقدرته، إذ لا يستطيع الخلاص منه بسهولة، إنه يتمنى أَنّ يتسنى « **عبد الرحمان أفندي** » وما صدر منه، وأَنّ يسدل ستاراً كثيفاً قائماً على ذكراه، ويتمنى ألا يحمل في قلبه ذرة من بغض لأحد، لكن ما الحيلة وهو كلما رآه أمامه في صبح أو في مساء تغيرت سخنته، وزادت ضربات قلبه ، إنّ كل ما يتصل بالنساء دقيق وحساس ، والجرح الذي ينكأنه بأظافرهن لا يندمل إلا بأنملهن الحنونة ..

---

[1] نجيب الكيلاني:في الظلام، ص 18.

[2] المصدر نفسه: ص 39 .

لكن ما دخل « **نهيرة** » في هذه الجراح ؟ قطعاً لا دخل لها، وليس هناك أي افتراض آخر إذن فلما الشك والغيرة .

فطائره في يده يغرد له وينقر له الحب ومن كفه يبداله له حباً بحب وحناناً بحنان، نحن عادة لا نعلم إلا القشور، ولا نلم إلا بالظواهر، ولو بحثنا خلف ذلك لأرهقنا أنفسنا، أو لوجدنا مالا يجدي نفعاً ..آه، الدنيا كلها متاعب .. لا أخر لها .. يارب .

جلس « **فريد**» وحيداً على سريره، وهذا ما أشار إليه الكاتب« كانت نفسه تتضح بالأسى [1] وكان يمسك في يده الخطاب الذي وصل « **من عبد المجيد** » وأخذ «**فريد** » يستعيد ما فات في الليلة الماضية ويستعرضه حرفاً حرفاً وحركة حركة، يا لها من ليلة قاسية، ليته لم يخرج فيها ولم يسمع ما سمع إنّ « **فريد**» لا يذكر تماماً ما الذي دفعه لأن يسر في شارع داير الناحية بعد العاشرة مساءاً، كان سعيداً مرحاً، يخيل إليه أنه لا يسير على الأرض، ويبتسم لساعات الجميلة التي يقضيها مع « **نهيرة** » حتى أخرته ثلاثة أيام اخرى عن اللحاق «**بعبد المجيد** ».

كان يسير في الشارع كالحالم، وصحا من أحلامه على ضجيج وضحك ينبعث من محل البقالة الذي يملكه وهبه، ما سمع، إنه «**عبد الرحمان أفندي**» يتحدث مع بعض أصدقائه، الموضوع « **نهيرة** » وزواج « **نهيرة** » **وفريد الحلواني**، ترى ماذا يقولون عنه وعنها ؟ على حد قول الكاتب « إنهم يعرفون مما لا يعرفون ولن يسلم الأمر من أَنّ يجرحوه بكلمة، على الأقل أبوه فراش وأمه غسالة و ...فقير » [2] هكذا قال أحد أصدقاء « **عبد الرحمان أفندي** »أما **عبد الرحمان** نفسه فقد قال: في لهفة ذات معنى « كأس شربناها ، ووردة شبعنا منها شماً ولمساً، وطعام عفناه من طول تناوله، فلا ندم ولا حزن إذا ما تركنا لغيرنا إلا الفتات »[3].

---

[1] نجيب الكيلاني: في الظلام، ص 31 .

[2] المصدر نفسه: ص 92 .

[3] نجيب الكيلاني:في الظلام، ص 93.

كان «**فريد الحلواني**» يسمع هذا الحوار وكله أذان واعية تحصى كل همسة، ورغم وقوفه في الظلام كان يتخيل « **عبد الرحمان** » بسحنته الممقوتة ويتخيل حركاته وابتساماته الساخرة، «**ونهيرة**» هي الأخرى لقد خدعته حتى قال: « إذنّ فأنت الزهرة التي لعب بها« **عبد الرحمان** » ونَعِم برحيقها، وأنتِ الكأس التي استطعمها وترك لي الثمالة، الفتات، لقد جعلتني ذباباً على مائدتك ..أن المخدوع ولولا القدر لما عرفت الحقيقة ».[1] وهكذا صراع **فريد** مع **عبد الرحمان** لكن على من ؟ على «**نهيرة** »الحبيبة، وانهالت الصفعات والركلات على **عبد الرحمان** وانقض عليه **فريد** كالوحش الكاسر أصابته سهام صيد غادر الدنيا كلها أشواك، ألام، طغيان، أحقاد، غدر، ليس هناك وفاء ولا حب ولا صدق، يالها من غابة ؟ تنتهبها الذئاب والأفاعي والثعالبة لا مكان للرجولة والإنسانية المثل .

بالأمس خطبة وغداً فراق، غداً لابد فراق إلى الأبد لا لقاء بعده« هكذا أراد عبد الرحمان النذل وهكذا أرادت **نهيرة** المخادعة »[2] .

في ظل هذا الصراع الذي نمت فيه قصة الحب بين **نهيرة وفريد**، إلا أنه يوجد ثالث الغريم العنيد **عبد الرحمان أفندي**، فكان الغرض من هذه القصة هو عرض المتناقضات ومن ثم الجمع بينهما في إطار علاقة حميمية بين الرجل والمرأة، فالهدف هو دراسة إمكانية التوافق رغم الاختلاف ، فالحب هو الذي جمع بين هذين العصفورين **نهيرة وفريد** .

2-1 الصراع الخارجي:

ويظهر هذا النوع من الصراع بوضوح في صراع الراوي « **فريد** » مع أهله، وأفراد قريته، ماذا حدث **لعبد الرحمان أفندي** ؟ ما سر هذا الانقلاب ؟ أبهذه السرعة يستسلم ويلقي السلاح ؟ والأدهى من ذلك أَنّ يذهب معتذراً باكياً يبلل يدي « **فريد** » بدموع التوبة والندم، ترى أين راح كبرياؤه وأين ذهبت ثقته بنفسه ؟ إنه لم يتصرف مثل هذا التصرف العجيب من قبل، هل خاف من بطش« **فريد** » ونقمته فسارع إلى تصحيح الوضع ؟ إنّ **عبد الرحمان**

[1] المصدر نفسه: ص 94 .

[2] المصدر نفسه: ص 96 .

شاب طموح ويحقد على كل من يقف في طريقه أو يمنعه من تحقيق إحدى أمانيه، أنانية درج عليها، وسليقة تغلغلت في أعماقه، وهذا ما دعاه للوقوف بالمرصاد **لفريد** ومحاولة عرّقلة زواجه من« **نهيرة** »، ولم يكن « **عبد الرحمان** » خصماً لبقاً وغريماً ذكياً يحسن التدبير بل كان كل همه أَنّ يملأ القرية إشاعات يرضي بها غروره، ويشبع فيها مركب النقص الذي يعتريه فيدفعه ذلك إلى التورط في الأخطاء وإثارة المشاكل، وكان « **عبد الرحمان** » يفهم تماماً انه لن يكسب شيئاً يذكر من ذلك الصراع السلبي، بل إنه سوف يحط من قدره في أعين الناس، وهذا ما أشار إليه الكاتب « ظل **عبد الرحمان** سادراً في تهوره واستهتاراً حتىّ كانت الواقعة تحت شجرة التوت » [1]. كان كل شيء معادياً له، فقد استسلم لهذه الخواطر التي تنشال عليه ويناقشها في صراحة، وتأمل دقيق ببينه وبين نفسه، والإنسان في وحدته وامام ذاته وضميره كثيراً ما يأنف من التهرب والجبن ويلقى باعترافاته وخلجاته بلا خوف .

وهكذا انطلق « **عبد الرحمان** » إلى بيت« **فريد الحلواني**»، رغم تصرفاته الحمقاء – شأنه شأن أي إنسان في هذا الوجود – لابد وانه يحمل في أحد جوانب نفسه عنصراً من عناصر الخير مهما خفي هذا العنصر ومهما طال احتجابه، وهكذا لا يوجد شيء محض ولا خير محض في طبائع الناس، وإنما هي مزيج من الإثنين، كان هذا الإحساس من جراء الهزيمة التي ابتلي بها، أم من ضعفه الطارئ الذي دفعه لأن يعترف ويعتذر ويطلب الصفح من **فريد**.

قال **عبد الرحمان** ..في نبرة وإخلاص وصدق: « لقد استيقظت بالأمس في الظلام تحت شجرة التوت.. أجل استيقظت فوجدتك زوجاً « **لنهيرة** »[2] **فعبد الرحمان** يُنشد الراحة ويتحرق شوقاً إلى النسيان، لكن يبدو أَنّ النسيان في الأوقات الحرجة يضع على رأسه تاج ملك، وفي يمينه صولجاناً، ويتأبى ويتمتع ويعتصم بالسلطة والكبرياء، فقرر **عبد الرحمان**

[1] نجيب الكيلاني: في الظلام، ص 105 .

[2] نجيب الكيلاني: في الظلام، ص 93.

السفر وترك وراءه كل شيء حيث قال: « عشت غريباً طوال حياتي التعليمية، فلا بأس من أنّ أواصل رحلتي في بلاد الغرباء » [1]. قرار لا رجعة فيه، في نهاية العام الدراسي وقد يكون أسعد حالاً أو أسوء حالاً .

2. **الصراع الاجتماعي:**

ورد في معجم العلوم الاجتماعية تعريف الصراع على أنه: « الموقف الذي يكتسب فيه موقف ما قيمتين متناقضتين احدهما إيجابية والأخرى سلبية»[2]. أي إرتباك في الإنسان وعدم قدرته على حسم قراره اتجاه موقف موقف ما .

2-1 **الصراع الطبقي** :

أول ما يصادفنا في الصراع الطبقي هو لفظة طبقية وباللغة اللاتينية تعني(**classic**)، وهو مصطلح صعب في نطاق المعاني التي يشتملها فهو يصف فئة اجتماعية أو مجتمع من الناس تجمعهم صلة معينة، وقد أخذ المصطلح في أواخر القرن 16م نبرة حديثة تشمل كل التقسيمات (**classies**) وتصنيفات الغرور واللهو[3].

إنّ أي مجتمع يحتوي على عدة طبقات فهناك طبقة غنية وهي الطبقة العليا، وتوجد أيضاً طبقة فقيرة معدمة وتعتبر الدنيا في الترتيب الاجتماعي.

– إنّ أي مجتمع يحتوي على عدة طبقات فهناك طبقة غنية مالكة للجاه والمال وهي الطبقة العليا، وطبقة فقيرة معدمة وتعتبر الطبقة الدنيا في الترتيب الاجتماعي. والمجتمع المصري كغيره من المجتمعات ينطوي على هذه الطبقات، وبمجرد وجود طبقتين مختلفتين هذا وحده سبب كاف ومدعاة للصراع حيث يظهر هذا الصراع: « الصراع في نطاق المجتمع الواحد بين الطبقات المختلفة » [4].

---

[1] المصدر نفسه: ص 123 .

[2] نادية عيشور: الصراع الإجتماعي، بين النظرية والممارسة، ص 270 .

[3] ريموند ويلز: تر: نعيمان عثمان، تقديم: طلال أسد، مجلة الكلمات المفاتيح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2007، ص 25 .

[4] سميح أبو مغلي: التنشئة الإجتماعية للطفل، دار اليازوري للنشر والتوزيع، عمان، 2008 م، ص 116 .

وفي هذه القرية قرية " **شرشابة** "التي ينتمي إليها **فريد**، الذي يقع منزله في زقاق ضيق، أعواد القطن، والأحطاب الجافة، وهي تضلل الزقاق، وبعض الأطفال وقد جلسوا يخططون في التراب ويقيمون فيه قنوات صغيرة، ويقسمونه إلى أحواض تشابه إلى حد كبير ما يفعله آباؤهم في الحقول، وتسمع نقرات رتيبة من السهل تمييزها فهي كثيرة الحدوث في كل بيت، وما هذه النقرات إلا ضربات صادرة من أكف النساء، وهن يخبرن أرغفة الذرة، ويغمغمن ببعض الأغنيات الشعبية المعتادة، هذه القرية المتواضعة، غالبية أهلها من الفلاحين المساكين، على عكس **عبد الرحمان** الذي يملك الشهادات والمال والمركز هي المؤهلات ويشتري بها كل شيء في هذا العصر حتىّ العواطف الغالية وهذا ما أشار إليه الكاتب بقوله: « وتخرجت ، وعينت مدرساً، وبلغت سن الرشد، ثم نقلت إلى بيت الخاص، وتسلمت أرضي »[1] حيثٌ أَنّ هذا الإختلاف في المستوى يؤدي بضرورة الحال إلى الصراع بين الأفراد والجماعات.

– والرواية التي بين أيدينا تظهر تجليات هذا النوع من الصراع بين طبقتين إجتماعتين متناقضتين في مختلف الأفكار وتختلف في الوضع الاجتماعي والثقافي والاقتصادي، الطبقة الأولى تمثلها الطبقة البرجوازية الحاكمة، ويميز هذه الطبقة الثراء والفساد أما الطبقة الثانية فتمثلها الجماعات المناضلة من أجل الحرية والمساواة وهي طبقة فقيرة مغلوبة على أمرها.

– التفاوت الطبقي وتفاقم الأوضاع الاجتماعية أدى إلى نوع من الرفض والثورة، وهذا ما زاد من نمو النضالات وتعالي الصرخات المناهضة للنظام السائد والرغبة في تغيير الأوضاع والمطالبة بنظام عادل تكون فيه كل الأطراف متساوية في كل مجالات الحياة .

– مضى على وجود« **فريد الحلواني**» في القاهرة أسبوع، التقى خلالها بالضابط«**فرحات السروجي** »الذي كان له العتاب واللوم الحاد على تقاعسه وإهماله، لقد قال له **فرحات:** «

[1] نجيب الكيلاني: في الظلام، ص 120 .

الوقت ضيق والأحداث تجد في سيرها مسرعة، والبلد على شفا الهاوية والأعذار غير مقبولة»[1].

نجد أَنّ الطالب **فريد** عند التقائه بصديقه لاحظ التفاوت الطبقي بينهما حيث قال له: « أختي في القصر العيني تموت، والله وحده يعلم متى تكون النهاية، وظروفي العائلية في منتهى الضيق والحرج »[2].

تتقابل هذه الأفكار بين هاتين الطبقتين بين الخيانة والوفاء، بين الإصلاح والإفساد وبين الفقر والثراء، وبين النضال والاستغلال، وهاتين الظاهرتين بمثابة المنطلق للنزاعات الحاصلة.

2-2 الصراع داخل العائلة:

من المعروف والواضح أَنّ أي مجتمع يتكون من مجموعة من الأسر، فالأسرة هي النواة الأولى في بناء المجتمع وهي:« الوحدة الأساسية في التنظيم الاجتماعي ومؤسسة من المؤسسات الاجتماعية ذات الأهمية الكبرى فيها تبدأ حياتنا الأولى وتتعود عليها، وفيها نضع خبراتنا، وفيها تتشّكل شخصيتنا وتتكيف مع البيئة المتغيرة حولنا وهي مصدر الأخلاق والدعامة الأولى لضبط السلوك ويلقى فيها الصغار والكبار الرخاء »[3]. ولكن في كثير من الأحيان يتحول هذا التنظيم إلى ساحة للصراع وذلك لأسباب عديدة .

أ-صراع ريحانة مع المرض:

المرض أعدى أعداء الإنسانية، وخاصة إذا هصر عود الشباب، وداس حرمة الجمال،« **ريحانة الحلواني**» أخت **فريد**، والزوجة الطيبة المحبة لزوجها وأولادها، سقطت فريسة الداء، والأدهى من ذلك أنه السرطان الذي أصاب جزءاً حساساً من جسمها، يسافر « **فريد** » الحلواني، لأن الدراسة في المدارس قد بدأت، في الجامعة، ولن يسافر **فريد**

[1] نجيب الكيلاني: في الظلام، ص 152 .

[2] المصدر نفسه: ص 153 .

[3] حسين عبد الحميد رشوان : الأسرة والمجتمع ، دراسة في علم اجتماع الأسرة ، مؤسسة شباب الجامعة الاسكندرية ، ط 1 ، 2003 ، ص 21

الحلواني هذه المرة وحده فستكون معه أخته ريحانة التي قد يجد سريراً خالياً في القصر العيني وهو في الرواية رمز من رموز الشقاء والطبقة الكادحة التي تعاني الفقر والطبقية على حد قول الكاتب« لقد كانت ريحانة وادعة جميلة مرحة، وفجأة ارتمت على فراشها بين الحياة والموت » [1].

ريحانة تريد أَنّ تشتري الحياة، لكن ليس في يدها مال، إذن فلتمت بحزنها وغيضها وآمالها وآلامها، وستذوب تأوهاتها في الظلام مع أنفاسها الأخيرة، حتى زوجها يُخَيِّلْ إلى أنه يتعجل منيتها ما دامت لا مفر منها .

– وتذكر « **فريد** » أنذاك أَنّ أخته تمارس هذه التجربة لأول مرة في حياتها ، فلم يحدث أَنّ تركت هكذا وشانها في مكان لا يعرفها فيه أحدهم، بل إنها لم تغادر **شرشابة** طول حياتها قبل مرضها، ووقف **فريد** حائراً لا يدري ماذا يفعل، ثم هداه التفكير إلى الاتصال ببعض ذوي النفوذ والكلمة المسموعة، وفي اليوم التالي أُدخلت « **ريحانة** » قسم الاستقبال حتىّ يخلو لها سرير في القسم الخاص بعلاج السرطان فتنتقل إليه، و هكذا دخلت القصر العيني.

– وهناك« **نهيرة**» وهو لا يستطيع أن ينساها، وكيف النسيان أو التجاهل، وفي بطنها ترقد بذرة غرامها المشبوب، وبعد شهد واحد يأتي الميعاد المضروب للزواج،و« **ريحانة**» و « **نهيرة**» مرتبطتان .. فكلتاهما مأساة وإن اختلفت المأساة في طبيعتها..

– ثم هناك المدرسة الابتدائية التي يدرس فيها، فهي الأخرى لها نصيب من تفكيره، وتأتي الجامعة في الآخر ورغم ذلك فلها مطالبها واستعداداتها.

وفي هذه اللحظة دخل« **عبد المجيد**» وكان على غير عادته مضطرباً مصفر الوجه، قد غاض البشر من وجهه، وغامت عيناه بالدموع، مرتبكاً لا يدري كيف يداري ارتباكه، فوقف « **فريد الحلواني** » جامد لما رآه، وهذا ما أشار إليه الكاتب في قوله « **ريحانة ماتت** »[2].

---

[1] نجيب الكيلاني: في الظلام ، ص 128 .

[2] نجيب الكيلاني: في الظلام، ص 155.

دارت الأرض« **بفريد**» ووقف مذهولاً، لا دموع، لا صراخ بل صمت ثقيل رهيب، الناس في شارع الصليبة هُمْ هُمْ لم يتبدلوا، وضجيج العربات لم يتحول، ونداءات الباعة، وصياح الأطفال، وضوضاء الراديو كلها كما هي.. وهناك في ركن من القصر العيني جثة خامدة الأنفاس، شاحبة نحيلة ترقد في برود وجمود، صمت وألم وغرور، تلك هي الحياة، غربة وأحزان، تلك هي رحلة العمر.. والقدر يا لشأنه العجيب، يفتح إحدى أذنيه على أنغام الحب والمرح والسعادة، ويفتح الأذن الثانية على الآهات والأنات والألحان الجنائزية الرهيبة، إذن ماتت « **ريحانة**» وتذكر فريد كلمتها التي قالتها يوم دخولها القصر العيني: « **أتتركني هنا لوحدي**» [1] فرغم أَنّ الموت قدر محتوم إلا أنه مخيف لكثير من الناس.

ب–صراع فريد في السجن ودخوله مشفى الأمراض العقلية:

كان«**فريد**» في المشفى محاطاً بشتى أنواع الرعاية من الطبيب والممرضين، وكانوا يقدرون فيه علمه وصدق عاطفته، وينظرون بعين الاحترام إلى التهمة التي حُكِمَ من أجلها، ولقد قضى فترة طبية هناك، استراحت له نفسه نوعاً ما، وعاد إليه شيء من الهدوء والثقة القديمة وتقبل مأساة بتر أصبعه بصبر واستلام، وآمن « **فريد** » بالحكمة التي كثيرًا ما كانت ترددها أمه وهي « قضاء أخف من قضاء.. لو أطلعتم على الغيب لاخترتم الواقع..»[2]، وبعد أَنّ قضى« **فريد** » ما يقرب من أسبوعين في المشفى أحس بتقدم كبير، فأستعره ذلك بمزيد من الثقة والتقدير لنفسه رغم كونه مسجوناً مهاناً، ودخل عليه « **كساب**» هذا الإنسان الساذج الطيب.. والذي يقولون عنه إنه مجرم عتيد، واقترب من سريره وقدم إليه خفية خطاباً، فتناول« **فريد**» الخطاب في لهفة و دسه في مكان أمين حتى لا يلحظه أحد، وكان « **كساب** » كلما قدم « **لفريد** » خدمة شعر بالسرور والسعادة.. وأقبل زملاء « **فريد**» لزيارته في العصر، وأمطروه بوابل من كلمات تقدير وأحاطوه بشتى مظاهر الرعاية والعناية، ودعوا له بالشفاء العاجل والصحة القوية وقال: « **فرحات السروجي**»

---

[1] المصدر نفسه: ص 157.

[2] نجيب الكيلاني: في الظلام، ص 237.

– لشد ما أسفت على ما أصاب يدك يا « **فريد** » يجب أن تصبر أو لسنا رجالاً؟[1].

كان لطول المدة التي قضاها « **فرحات**» وإخوانه في السجن أثر ملحوظ بالنسبة للمعاملة التي يعاملونها بها، فاكتسبوا وضعاً مريحاً نوعاً ما، وقرر الطبيب ألا يخرج « **فريد**» إلى الجيل مرة ثانية، وأن يهيء له المسؤولون عن التصنيع عملاً داخل السجن نظراً لبتر أصبعه، وقد أتاحت الظروف «**لفريد**»– لبقائه داخل السجن– أن يلم بكثير من الأنباء السياسية وغير السياسية، وعادة المسجون انه إذا ما ورد خبر إليها لمناسبة من المناسبات، أو انتقلت إليها لشائعة تتعلق بمصيرهم انتشرت في سرعة البرق، ولفت في كل أنحاء السجن، فلم يكن أمام « **فريد**» ألا أن يتحقق من مختلف الشائعات بين ساعة وأخرى، ولم يكن ينتابه اليأس ورغم ثبوته كذب كل الأنباء التي تتحدث عن العفو عنهم.

وفي بيت « **فريد الحلواني** »، كان هناك ما يشبه المأتم. إن في « **شرشابة**» كما في معظم ريف مصر، تقاليد لها صفة الاحترام بل التقديس، فمن الأمور المسلم بها، أن المرأة لابد أن تنتظر زوجها حتى يعود من السجن، يجب أن تحمل عنه لعبء حتى يعود، وتحاول أن تملأ الفراغ الذي تركته، ولا بأس عليها إن هي شقيت وتعبت، وقاست الأمرين؛ لأنها عند ذلك سوف ترتفع في أعين أهل القرية، وتحظى باحترامهم، وسيظل زوجها فيما بعد حافظاً لجميلها شاكرًا لمعروفها، وفي « **شرشابة**» أمثلة كثيرة للتدليل على ذلك، إن « **أحمد صالح**» أحد رجالها حكم عليه بالسجن في أبي زعبل عشر سنوات، وانتظرت زوجته حتى عاد، وغيرهما كثيرون، لهذا لم يعتقد « **الحلواني**» وزوجته أن « **نهيرة**» سوف تترك زوجها، وترتمي في أحضان رجل آخر، وفي الوقت نفسه كان من المعتقد أنّ سجيناً سياسياً مثل « **فريد**» لن يطول به السجن إلا فيها ندر، فلا عجب من ذلك أن اعتبرت « **أم فريد**» طلاق « **نهيرة**»، من ابنها وتزويجها من « **عبد الرحمان أفندي**» جريمة لا تغتفر، وفألاً سيئاً يبعث على الفزع والحزن الشديد، كما هو متبع في « **شرشابة** » منذ قديم الزمن.

[1] المصدر نفسه: ص 246.

مرّ على طلاق « **نهيرة**» ما يقرب من شهرين وهذا ما أشار إليه الكاتب في قوله: اليوم بأن والد نهيرة قد أرسل إلى مدير الليمان خطاباً يطلب من موافقة « **فريد**» على طلاق « **نهيرة**» [1].

كانت هذه الفترة تمر عليها وكأنها في حلم موحش رهيب لا تكاد تفيق منه إلا لتفسح الدموع الغزار، وترسل التنهدات الحارة، فهي لا تصدق أنها تركت « **فريد**» إلى الأبد، رغم الصدمة القاسية التي تلقتها «**نهيرة**» بعد الحكم على « **فريد**» ورغم شماتة الشامتين، وعذل العاذلين، وغضب أمها، ومرض أبيها، ورغم كل هذا فقد كانت تشعر بسعادة داخلية، وأن شعورها بأن صابرة ومتحملة لجزء من المحنة قد حقره الواقع المر الأليم.. وأن « **عبد الرحمان أفندي** » الذي لم تكن تحس نحوه بعاطفة حية منتقدة قد فُرِض عليها فرضاً، وأصبح لا مفر من أن تعيش معه تحت سقف واحد، وتشاركه المأكل والمشرب والفراش طول الحياة،.. أهي تكرهه « **عبد الرحمان أفندي**»...؟ وماذا أجرم حتى يصيبه منها هذا الكره..؟ إن أبشع جريمة في نظرها هي انه قد طمع في الزواج منها وهو يعلم أنها « **لفريد**» قلباً وقالباً.. لكن « **نهيرة** » لا تنسى في الوقت نفسه محاولات « **عبد الرحمان**» المتكررة ومناوراته الصبيانية التي كان يقوم بها حينما خطبها « **فريد**» منذ عام ونص تقريباً، فقد نشر حولها الشائعات وروّج الأكاذيب... لكن ما الذي كان يدفع «**عبد الرحمان**» لهذه التصرفات؟ شيء واحد، هو أنه كان يحبها بكل جوارحه، لذلك أكلت الغيرة قلبه وكانت هي لا تبادله هذا الحب الجارف، ثم جاءت محنة مرض أبيها، وهذا ما أشار إليه الراوي في قوله: « فسارع عبد الرحمان ببذل العون وأخذ يقدم شتى ألوان التضحية، ويعرض خدماته في تواضع وإشفاق وإخلاص واضح» [2].

بالأمس كانت تضحي بالكثير من أجل « **فريد**» واليوم تضحي « **بفريد**» – وهو أعز ما تملك– من أجل أبيها وراحة أبيها، مازالت هي المضحية الصابرة، ما زالت تتقلب في

---

[1] نجيب الكيلاني: في الظلام، ص 265.

[2] نجيب الكيلاني: في الظلام، ص 273.

دنيا الآلام والأحزان والدموع غداً تدق الطبول، وتنبعث أصداء المزامير في آفاق القرية، وتنطلق الزغاريد.. غدًا زفاف « **عبد الرحمان**» و « **نـهيرة**» إلى دنيا الأفراح » [1].

فريد هو الآخر يصارع داخل السجن، كان يسير في جنازة ويُشِيعَ عزيزًا إلى مقره الأخير، دخل الزنزانة دون أن يشعر أو يرى شيئاً مما حوله، كان وقع الصدمة قاسياً على « **فريد**»، لكنه استطاع أن يظهر بمظهره العادي، ويبدي عدم الاكتراث أو اللامبالاة لما حدث «فتعليقات **البسطويسي** اللاذعة، وكلمات **فرحات** المهدئة الحكيمة، تدفع فريد للنسيان رويدًا رويدًا » [2] فحالة فريد من جراء الخطاب الذي تلقاه من والد **نـهيرة** بطلب الطلاق من **نـهيرة** وحالته النفسية الثائرة، فكان يثور لأتفه الأسباب، ويجادل إخوانه في أشياء ولا تحتاج إلى كلمة واحدة، كما كثرت مخالفاته في الليمان مما كان يؤدي به للذهاب إلى التأديب، قضى « **فريد**» عدة أيام في التأديب انتظارا للمحضر والعقاب الذي يسرد من الديوان، وكانت هذه الأيام مزيجاً من الجوع والبرد والوحدة القاسية والإهانات المتوالية، وأحس بميل تسديد ليرى أصدقاءه ويجلس معهم يتبادلون النكات، ويتجادلون ويتشاجرون، ويتجادلون أطراف الحديث، إن هؤلاء الأصدقاء ذخيرة ثمينة، وسند أي سند، لكن « **فريد**» كثيرًا ما يئسى إليهم.

وأتاح الحبس الانفرادي لفريد أن يجول بفكره داخل الأسوار وخارجها، وكان هناك طيف حبيب إلى قلبه، قريب إلى روحه، ملتصق بكيانه وبقائه أوشق اتصال .« **نـهيرة**» تلك التي لا ينساها ولن ينساها أبدًا فيقول لنفسه:« إنني أضحك على نفسي وأخدعها– لقد تزوجت وانتهى الأمر.. هذا كل ما أعرفه، ولو كان حبها صادقاً، وإخلاصها عميقاً متأصلاً لضحت.. وانتظرت وصبرت صبر **أيوب**.. لكنها للأسف لسعت قلبي إلى دنيا الفناء والأحزان..»[3].

---

[1] المصدر نفسه: ص 283.

[2] نجيب الكيلاني: في الظلام، ص 285.

[3] المصدر نفسه: ص 304.

وفي الصباح حدثت كارثة مروعة عندما فتح جاويش لتأديب الزنزانة..فوجئ بمنظر « فريد» وهو يقف في أحد أركان الزنزانة عارياً، مكشوف السوأتين، وجسمه كله يرتعد وينتفض من البرد، وقد ارتسم في عينيه الخوف والفزع وقال الجاويش في استغراب:

–ماذا أدهاك...؟ لعنة الله عليك .. هل جننت ؟ [1]، إن «**فريد** » ضحية من ضحايا الطغيان والظلم، إن الحياة الرتيبة التي يحياها في الليمان والمذلة التي يلقاها قد أثرت في نفسه تأثيرًا عميقاً، وحبه الفاشل« **لنهيرة**» وتخليها عنه، ترك هو الآخر نفسه جراحاً غائرة تتنزى حسرة وألماً.

وآماله الضائعة في المستقبل والنجاح والمتعة والحب قد ذهبت أدراج الرياح وخيبت رجاءه، وإتهام « **بسطويسي**» له بالخيانة والغدر والحماقة لا شك أنها هي الأخرى لا يمكن إغفالها.

– بقي فريد على هذه الحالة ما يقرب من أسبوع دون نوم أو أكل، فقد حجزوه في الزنزانة المخصصة للمجانيين، وبعد انتهاء الأسبوع أخذوه إلى مستشفى الأمراض العقلية.

– لهذا كان « **فريد**» يعود إلى الليمان إذا ما تحسنت حالته، ويرجع إلى المستشفى إذا ما أصيب بنكسة، وفي المرة التي ترك فيها المستشفى وراءه قاصدًا الليمان، وهذا ما أشار إليه الكاتب في قوله: كتب الطبيب المختص تقريرًا يقول فيه:« إن حالة المسجون « **فريد الحلواني**» وحالته النفسية، وأصبح يعرضه على طبيب أخصائي في الأمراض النفسية، ورأيي الخاص الذي تدعمه معلوماتي أن هذه الحالات مستحيل شفاؤها داخل السجن، أي انه لابد من الإفراج عن المذكور» [2]. صارع فريد في السجن هو ورفاقه وأخذ يهتف بأعلى صوته سقوط الطغيان.

[1] نجيب الكيلاني: في الظلام ،ص 322.

[2] المصدر نفسه: ص335.

3. الصراع السياسي:

يقدم معهد" **ايدلبرجو**[1]*(**Heidelberger**) الدولي للبحوث حول الصراع تعريفاً للصراع السياسي، يختصره حول صراع المصالح أو لاختلافات في المواقف حول القيم الوطنية التي تكونت خلال فترة معينة، والذي تتعارض من خلاله مجموعتان سواء كانت جماعات منظمة، دول، مجموعات في السلطة، منظمات، والتي تكون جميعها مصممة على الدفاع عن مصالحها والوصول إلى أهدافها.

وعليه فإن الصراع السياسي لا يقتصر بين الدول بل أَنّ هناك صراعات سياسية داخلية لا تكون الدولة طرفا فيها، وبالتالي تتطور دون تدخل مباشر من قبل هذه الأخيرة[2]

بدأ الصراع في بداية الرواية بين الأصدقاء **عبد المجيد، وفرحات السروجي وفريد الحلواني،** وبين الجنود حينما قرر هذا الأخير بإلقاء القبض عليه في غرفة **الشيخ بسطويسي.**

3-1 إلقاء القبض على الأصدقاء الثلاثة :

يبدو أن أعداء الإنسان في هذه الحياة كثير، وكل خصم ينتهز الفرصة السانحة حتى يضرب ضربته، وليس أوفق للنكبات من أن تسدد سهمها إذا حلت بالإنسان كارثة، فسيكون ذلك مدعاة لضمان النتيجة والقضاء التام على كل مقاومة ...والأقدار تحسن سياسة الإجهاز على ضحيتها.

مرت نصف ساعة على خبر موت" **ريحانة**"، وعقرب الساعة قد اقترب من الثامنة مساءاً، الثلاثة: « **فرحات**» و «**عبد المجيد**» و «**فريد**» جلسوا يدبرون أمر الرحلة ويفكرون في طريقة نقلها إلى « **شرشابة**» لكن هناك ضجة واضحة، وخطوات متلاحقة سريعة تدب

---

* ملاحظة:Heidel berg Institute for International Conflict Research وهو معهد بحوث تابع للجامعة الألمانية التي تحمل نفس الإسم الذي يخصص دراسته منذ عام 1991م لوصف وتحليل جيمع الصراعات السياسية في العالم التي تحدث داخل الدول أو خارجها

[2] سميرة بلعربي:الصراع السياسي في الجزائر من خلال الصحافة الفرنسية، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في علم الإعلام والإتصال، جامعة الجزائر3، 2012-2013، ص32.

على السلم، ورغم ذلك فالثلاثة لا يهتمون كثيراً بما يسمعون، إنهم مستغرقون في المصيبة التي حلت بفريد ... ثم يُفتح باب الشقة بعنف ... وصوت أجلش يصيح في قوة وعنف:

– لا تتحرك من مكانك .. سأطلق الرصاص إذا بدرت أية حركة، وتقدم ضابط شاهراً مسدسه، يبدوا في عينه اليقظة التامة، وقال لمن معه من الجنود:

– ضعوا الحديد في أيديهم.. ثم التفت إلى الأصدقاء الثلاثة، وقال:

– متأسف هذه أوامر لامناص من تنفيذها..[1]

ظهر الصراع هنا بين الأصدقاء والجنود بعدما أسرع الجنود في تنفيذ ما طلب منهم، وأنفلت بعضهم هنا وهناك يفتشون الأثاث ويقلبون في الكتب، وأدراج المكتب والدولاب، باحثين عن أوراق أو أسلحة، ثم عثروا ببعض من الأوراق الخاصة وماكينة الطباعة « **الرونيو**» وقليل من المنشورات القديمة...

ظهر الصراع حولها حينما قال الضابط « **فرحات السروجي**»:

– ترى ما الداعي لكل هذا؟..

– إنها أوامر كما قلت لسيادتك... أليست هذه شقة « **بسطويسي فخر الدين** » الطالب بكلية اللغة العربية؟؟..

– أجل..

– هاهو الأمر بتفتيش الشقة تفتيشاً دقيقاً، والقبض على كل من نجده فيها..

– لكن ما صلتنا نحن بذلك؟..

– لقد تم القبض على « **البسطويسي**»

– أ معك أمر بالقبض علينا شخصياً؟..

– كلامي واضح.. المسألة ليست سهلة..

– لا دخل لنا، ولا محل للقبض علينا..

– سنرى، ما هي إلا دقائق ثم تعودون..[1]

[1] نجيب الكيلاني: في الظلام، ص158.

وفي هذه الآونة كان « **فريد**» يقف دون أن يكترث لشيء، والأحزان قد أطبقت عليه من كل صوب، وفجيعته في أخته قد جعلت الدنيا سوداء مقفرة أمام عينه، وأخذ ينظر إلى ما أمامه بذهول ولا مبالاة، حتى لكأن الجنود والضباط الموجودين أشباح تتحرك، لا آدميون يقومون بعملية كبرى وهي القبض على جمعية خطيرة تعمل على إقامة جمهورية مصرية مستقلة..

وفي طريقة الحوار تتجلى الصراعات الأيديولوجية بين الضابط «**فرحات السروجي**» والجنود وخير مثال على ذلك.

– هيا بنا لو تكرمتم...

ووقف« **فرحات**» في حيرة وثورة عارمة لا يدري ماذا يفعل، وهذا ما أشار إليه الكاتب: « يبدو أننا قد وقعنا في الفخ، وقلبي يحدثني بأن هناك أمورًا خطيرة.. أجل، لقد وقعنا قبل أن يكتمل نضوج الثمرة..لكن من يدري ؟ لعلها حادثة ضئيلة نعود على أثرها إلى الكفاح من جديد..»[2] وقال الضابط للمرة الثانية:

– هيا بنا أرجوكم..

– وتلفت « **فريد** » وكأنه يفيق من حلم، وقال:

– إلى أين ذاهبون؟..

وتذكر « **فرحات** » مأساة « **ريحانة**» وكان قد نسيها في خضم المفاجأة التي دهمتهم من جراء القبض على « **بسطويسي**» ولم يدر « **فرحات**» بماذا يجيب ...

وقال الضابط:

– مرة ثالثة أقول إنكم مقبوض عليكم بأمر الداخلية.

– لكن أختي..

فالتفت إليه الضابط في اندهاش:

– وما شأننا بها؟

---

[1] نجيب الكيلاني: في الظلام، ص159.

[2] المصدر نفسه: ص 160.

– إنها في القصر العيني..

فزاد الأمر إبهاماً وغموضاً أمامه، وقال:

–لست ما أفهم ما تقول..

وهنا تدخل « **فرحات السروجي**» قائلاً:

–منذ نصف ساعة توفيت أخته في القصر العيني،وكنا على وشك نقلها إلى قريتهم فالأمر يحتاج إلى تصرف عاجل،فما الحل؟..[1]

يظهر من خلال هذا الحوار وطريقة الضابط « **فرحات السروجي**» في طرح السؤال أنّ مرشدهم متشبع بأفكار، وأنّ إجابته ليست بالإجابة الواضحة فهي تحمل معاني مختلفة، وهذا واضح في العبارات التالية

– البقية في حياتكم.. شيء محزن حقاً .. لكن الأنكى من ذلك أنني لا أدري كيف أتصرف إزاء هذه المشكلة العويصة.. أليس للفقيدة أقارب هنا؟

–كلا

وبان الأسى والحزن العميق في عيني الضابط، وقال:

– هيا بنا .. سنتصرف بما يرضيكم..[2] .

3–2صراع الأصدقاء داخل السجن:

زنزانة ضيقة تحمل رقم 12، أربعة جدران، «**مبولة**» جردل لماء الشرب، وبرش وبطانية، ونافذة صغيرة ذات قضبان متقاطعة وشبكة من الأسلاك الصدئة، وباب مغلق مكتوب عليه بعض الكلمات المحفورة في الخشب ما بين أسماء وآيات قرآنية وعناوين..

كان «**فريد الحلواني**» يجلس في هذه الزنزانة في شبه مذهول، وكان الصمت والسكون الرهيب يفضي جوًا غريباً على الزنزانة، وشعر« **فريد**» بهذا الجو الخانق، وكأنما كانت هناك

[1] نجيب الكيلاني: في الظلام، ص 161.

[2] المصدر نفسه: ص161.

يدان غليظتان تحاولان خنق أنفاسه، حتى الضوء الباهت شارك في إيجاد ذلك الجو المتعب...

كان «**فريد**» –كرجل كفاح– يفكر في اليوم الذي يقدم فيه بعض التضحيات، وقد تصل هذه التضحيات إلى الذهاب للسجن، لكن التفكير في بذل التضحيات شيء، وملاقاتها فعلاً شيء آخر .. ما أكبر ما يصطدم الإنسان بمرارة والأسى عندما يحاول أَنّ ينقل الأفكار إلى المجال العلمي.

وتأوه **فريد** ثم كور كفه وضرب بها على حائط الزنزانة في تذمر: وقال:

–ما أضيق هذا المكان .. أكاد أختنق.. أما لهذا العذاب من نهاية يارب؟! .. إني أفضل الموت على ذلك الوضع، ما أتعسى أولائك الذين يقضون السنوات الطوال وراء الأسوار .. أليست « **ريحانة**» الآن أهنأ بالاً، وأسعد مضجعاً مني؟.. أجل « **ريحانة**» المسكينة رحمها الله.. آه يا أختي لقد أبت الأقدار على أن أشيعك إلى مقرك الأخير..» [1]

أجل إنها المؤامرة الكبرى كما سموها ضد الملكية.. والأوراق التي أمسكوا بها لدى « **بسطويسي**» والخطط والتسيرات التي عثروا عليها عند« **فرحات السروجي**» ... ماذا كان يعمل« فريد» إزاء ذلك ؟.. ثم ماذا يعمل الآن ؟.. لم يبق إلا دقائق ثم يجرونه جرًا إلى حيث التحقيق، وإذا ما ذكر التحقيق ذكرت الآلام التي فوق طاقة البشر.. وهذا ما أشار إليه الكاتب في قوله:«لقد ضعت .. حتى الصحف قد خلقت جوًا كائباً مبالغاً فيه حول قضيتنا.. والسراي نفسها تشرف على التحقيق.. ومندوب جلالة الملك وراء التحقيق خطوة خطوة.. « **وعبد المجيد**» هو الآخر مسكين قد ازداد شحوباً ونحولاً.. أما **بسطويسي** بمقاومته وصلابة رأسه، إنه لا يكل ولا يمل من الضرب.. أما « **فرحات**» عذبوه وخوفوه ثم منوه ووعدوه.. والأدهى من ذلك أنه يرمقهم باحتقار وعتاد.. آه، أتراني أستطيع أَنّ أتحمل مثل الأمس..»[2].

[1] نجيب الكيلاني: في الظلام، ص 164.

[2] نجيب الكيلاني: في الظلام، ص165.

نستنتج من هذا أَنّ الصراع الإيديولوجي القائم داخل السجن بين الأصدقاء أيضاً يشمل رجال السياسة والقادة الثوريين من أجل الإطاحة بالنظام الملكي، وإقامة جمهورية مصرية مستقلة ومن هنا سمع « **فريد**» خطوات رتيبة لكنها تدب على الطريق الضيق الذي يفصل صفى الزنزانات عن بعضهما، إنها خطوات لا يخطئها « **فريد**» لقد تعودها، وهب فريد واقفاً، وقلبه يخفق بشدة وعنف..

– هل أنت جاهز يا ولد؟..

– جاهز يا أفندم..

– أمشي قدامي..[1]

ومشى « **فريد**» أمامه في خوف منتظرًا الكف التي تهوى على قفاه كالمعتاد « **نزول البلاء ولا انتظاره**» ليته يضربه حتى يستريح، وتكلم الجندي مرة ثانية فانتفض جسد « **فريد**»:

– هيه.. أتعترف الليلة أم لا ؟..

– علام أعترف؟.. والله أنا مظلوم..[2]

ومن هنا كان لهجة « **فريد**» فيها الكثير من الذلة والخنوع الذي أشعره بالخجل فلم لا يكون مثل «**بسطويسي**» و« **فرحات**» و « **عبد المجيد**» وغيرهم بالمجموعة المقبوض عليها والتي يربو عددها على العشرين؟.. نستنتج من أَنّ الكاتب يحاول أَنّ يقدم رسالة من خلال الحوار الدائر بين « **فريد** » والمحققين الذين قد وجدوا أَنّ « **فريد**» يعتبر «**نقطة ضعف**» أو ثغرة يستطيعون النفاذ منها إلى أسرار زملائه، لأن الأوراق المضبوطة وحدها لا تكفي، ثم إنّ أوامر جلالة الملك صريحة بشأن الحصول على أقصى ما يستطيعون من أخبار هؤلاء الشباب، خاصة أَن بينهم ضابطاً له مركزه ونشاطه الخطير وهذا ما أشار إليه الكاتب بقوله:« أنت شاب جامعي لطيف.. ولم مستقبل،ونحن لا نبغي لك الضرر .. لهذا لا تكن

[1] المصدر نفسه: ص166.

[2] المصدر نفسه: ص 166.

مثل ذلك الأزهري العنيد وأشار إلى « **بسطويسي**» .. تكلم، وأقسم لك بشرفي لأجعلنك « **شاهد ملك**» لن تدان أقل إدانة..[1]

ورفع « **فريد**» بصره فالتفت عيناه بنظرات« **بسطويسي**» النافذة المتوعدة فقال:

– والله لا أعلم لشيئاً !

– وجمهورية أفلاطون ألا تعلم عنها شيئاً أيضاً ؟؟..

قالها المحقق في سخرية،ثم واصل كلامه قائلاً:والمنشورات التي كنتم تنشرونها في **الأزهر ومسجد السيد البدوي والجامعة والمدارس.. والخطب الرنانة**.. بماذا تعلل كل ذلك؟[2].

– وهنا تدخل محقق آخر ورمق فريد بنظرات حادة، وقال:

– يظهر أنك غبي سخيف لا تستاهل حسن المعاملة.. ! لن أفهم تماماً الأسلوب الذي يجدي معك..

وأنهال عليه ضرباً مبرحاً وفريد يتأوه ويتألم، وأما **عبد المجيد** فقد كان يرفع رأسه المتعب، ويحاول جاهدًا أَنّ يرى ما يحيق **بفريد** لضعف بصره، بينما تتقلص عضلات وجه « **بسطويسي**» ويصيح في عصبية..

– يسقط النظام[3] وأنهالوا ضرباً على « **بسطويسي**» الذي أخذ يصيح:

– أحد ...أحد ..

فاقترب منه المحقق وقال له في سخرية وشماتة:

–يا ولد يا بلال.. يا مؤذن الرسول..

– يا مجرمين.. يا كفرة..

–اخرس اقطع لسانك.. لقد جعلت من مسكنك في **شارع الصليبة** وكرًا للأفاقين والمغامرين.. ستأخذون جزاءكم كاملاً..[1] ، وفي ظل الصراعات والحوارات القائمة بين الشيخ **بسطويسي**

[1] نجيب الكيلاني: في الظلام، ص 169.

[2] المصدر نفسه: ص 169.

[3] نجيب الكيلاني: في الظلام، ص 170.

والمحققين يدخلون في نقطة صراع نابعة حول الثورة والإطاحة بالملك، وهذا ما أشار إليه الكاتب بقوله:

– هل اشتركتم في المظاهرات التي كانت تهتف بسقوط الملك..؟

–أجل، واشترك معنا كثيرون من طوائف الشعب..

–حسناً، وهل كان لكم تكتيكات خاصة، وخطوط معينة لإسقاط الملكية وإقامة جمهورية؟.[2]

وهكذا دار الصراع بين **فريد والمحقق** واستمر هذا الأخير بالأسئلة وفريد يجيب عليها بصراحة واستهانة غير عابئ بما يجلبه عليه هذا التصرف من نتائج في غاية السوء..

–إذن ففيم وجود بعض السلاح عندكم..؟

– كميات ضئيلة تستخدم في أغراض تافهة..

– هل تدري كم عددكم..؟

–لا

–ماذا كانت مكانة الضابط« فرحات السروجي» بينكم ...؟

– الرئيس الفعلي لنا والموجه لأفكارنا وتحركاتنا ..[3]

وبعد أَنّ انتهوا من استجواب فريد لم يروا بأساً من أَنّ يعفوه من الحبس الانفرادي ويسمحوا له بالانضمام مع « **عبد المجيد**» الذي ساءت حالته الصحية لدرجة تدر بالخطر، وأضافوا إليهما زميلاً ثالثاً..

وعاد الزملاء الثلاثة إلى زنزاناتهم، وكان التعب قد أنهك قواهم فارتموا خائري العزم، وراحوا في سبات عميق إلا « **عبد المجيد**» الذي أخذ يتقلب ذات اليمين وذات الشمال ويتألم..

وفي الليلة التالية أصيب« **عبد المجيد**» بالهذيان على أثر ارتفاع في درجة حرارته، وفكروا في أول الليل أن يطلبوا الطبيب، لكن « **عبد المجيد** » أبى وهمس في حزن عميق:

---

[1] المصدر نفسه : ص 170.

[2] المصدر نفسه: ص172.

[3] نجيب الكيلاني: في الظلام، ص172.

– إنني أموت يا أصدقائي..

فرد« **فريد**» قائلاً في قلق:

–تموت..؟ ادفع عنك هذه الأوهام، يجب أَنّ نفكر في الإفراج عنا..

فقال« **عبد المجيد**» وهو يقسم:

–أجل الإفراج، إني أشعر بأنه قريب جدًا..[1]

وكان فريد يرى أن التهم الموجهة إليه هو وزملائه ليس من السهل الإفلات منها؛ لأنها قد أخذت بخناقهم، كما أَنّ الصحافة قد جسمت الموضوع وهولت فيه، فضلاً أَنّ السرى قد أوصت بأخذ المتهمين بالشدة حتى يكونوا عبرة لغيرهم..

لهذا حاول« **فريد**» بشتى الطرق أن يتملص مما ألقى على عاتقه من تبعات، بل سولت له نفسه أَنّ يرمي بالوزر على « **فرحات السروجي**» وزملائه، مما أخجل هؤلاء الزملاء وجعلهم يعتبرون « **فريد**» إنساناً كفر بمبادئه، وتنكر لعهده، ولم يحاول أن يؤدي دوره بإباء وشرف حتى النهاية..

والحقيقة أن عوامل عدة قد أثرت في موقف« **فريد**» تأثيرًا خطيرًا، مما جعله يستعجل اليوم الذي يخرج فيه إلى عالم الحرية، لا لمجرد الحرية فحسب ولكن من أجل أمور أخرى، « **نهيرة**» حامل للشهرين ونصف وتنتظر الزواج قبل أن يشيع أمرها، وأخته قد ودعت الحياة ولا شك أنها قد تركت لوعة وجرحاً غائرًا في قلب الأسرة التي أصبحت في حاجة من يواسيها، ويحمل عنها بعض آلام المحنة، بالإضافة إلى مستقبله، ومستقبل الأسرة الذي أصبح على وشك الانهيار...

فكيف يتصور « **فريد**» إذن الموت أو الخروج من الباب الخلفي للسجن، إنها مأساة فظيعة، وصورة رهيبة يحاول أَنّ يبعدها عن ذهنه..

– وقضى « **عبد المجيد**» ليلة ليلاء.. وظل يُهذى بأشياء كثيرة، ويستعرض صورًا مختلفة متداخلة يتحدث عن **شرشابة**» وسكانها وزروعها وأحداثها، وعن أهله وأسرته، بل وتحدث

[1] المصدر نفسه: ص172.

عن « **نهيرة**» وغرامه المكتوم المؤودبها.. وأشار إلى «**فرحات السروجي**» والقضية الكبرى.. الجمهورية.

فالصراع السياسي كان بين الأصدقاء والمحققين بارزًا من خلال الحوار الذي أجري بينهم ويدخل ضمن قائمة الصراع الإيديولوجي السياسي.

كان الظلام يسود الزنزانة، « **وعبد المجيد**» مسجى في ركن منها لا حراك به، والسجن يسود صمت وسكون، وأصوات مبهمة خافتة تطن من بعيد..وأشباح- ليس لها وجود ولكن ابتدعها الخيال- تنطلق مرفوقة في جو المكان..« **وعبد المجيد**» المرح الساخر المحبوب أصبح جثة تثير الخوف وتوقظ الرعب، والحزن يغلق بإطار بشع..

-مات..؟؟

- أجل..[1]

- آمال كانت ثم ذابت كالسراب، وأحلام حلوة بهجة عصفت بها يد الأقدار، ولشباب غض الإهاب اعتصرته يد الطغيان والفساد.. مات **عبد المجيد** وانتهى كل شيء، مات وحيدًا طريدًا جريحاً ما زال جسمه ينزف دمه، وروحه تئن انيناً موجعاً..آه من هول هذا المصير.. يا للفجيعة..« **عبد المجيد**» مات ولن يعود.

وحينما عادت جثة«**عبد المجيد**» إلى **شرشابة** كان لها وقع لصاعقة على أهله خاصة،وعلى الأهالي عامة، وسارت الشائعات تروي الكثير عن حقيقة موته، فمنهم من يقول: إنه مات من جراء ضربة قوية مزقت أمعاءه وفجرت أحشائه، وآخر يقول: إنهم خنقوه، وثالث يزعم أَنّ الملك أمر بضربه بالرصاص..

وحينما بلغ النبأ المشؤم « **الحلواني**» ضاقت الدنيا في عينيه، ومادت به الأرض، فما حدث **لعبد المجيد** ممكن أَنّ يحدث لولده « **فريد**» ..ويقول الحلواني لنفسه:

[1] نجيب الكيلاني: في الظلام، ص 179.

« لقد اختطفوك يا ولدي بقسوة.. ترى ماذا جنيت؟ لم تسرق ولم تقتل أو ترتكب تزويرًا ..وحاشاك كذلك ثم إن السارقين والقتلة يمرحون ويفلتون من القصاص، بل ويفرج عنهم بالضمان الشخصي أما أنت فأمرك عجيب..» [1].

لم يعد للحياة طعم لدى « **الحلواني**» اللهم إلا المرارة القاسية.. حياته سلسلة من الآلام والنكبات.. منذ أنّ جاء إلى الحياة فقيرًا معدماً، يحصل على لقمة العيش بعد جهد الجهيد.. فإبنه الأكبر غريق في المحلة الكبرى، و« **ريحانة**» لم يختر السرطان إلا هي في « **شرشابة**» و« **فريد**» الأمل الذي ذوى، والنجم الذي خبا هو الآخر ثالثة الأثاني، والقاصمة الكبرى.

3-3خبر الإطاحة بالنظام الملكي والإفراج عن المسجونين:

وأشرق على مصر عام 1952م ...

تطورات سريعة متلاحقة، وأحداث ضخمة تتوالى، وكل يوم جديد يحمل في طياته أشياء كثيرة، ويتمخض عن أنباء مذهلة، وضجيج هنا وهناك شعر« **فرحات**» ورفاقه بأن أكداس الظلام التي رانت عليهم في زينزاناتهم الضيقة قد أوشكت أَنّ تنجاب كما انجابت عن قلب وطنهم، ولم يتمالك « **بسطويسي**» نفسه من الفرحة، فقد تعلق بقضبان إحدى النوافذ الحديدية، وأخذ يهتف بأعلى صوته بسقوط الطغيان وأعداء الحرية والمستعمرين، وزملاؤه يحاولون إنزاله وتهدئته دون جدوى، أما « **فريد**» فقد هذا الحدث الكبير، فغشيته مسحة من الصمت، ثم أصبح بعدها هادئاً باسماً، يناقش الأمر بروية، ويعلق على الأحداث السياسية برزانة ووقار، ويتخيل ذلك اليوم الجميل الذي يخرج فيه من خلال البوابة السوداء قاصدًا تلك الأفاق الرحبة الفسيحة حيث الحرية والناس والحياة والحب والغد... «**وفرحات السروجي** » هو الآخر جلس في ركن من أركان الحجرة يفكر، ويحكم ويتنبأ..

كانت لحظة حلوة رائعة لم يحظ بمثلها طول حياته، كان سعيدًا رغم أَنّ القيود والسلاسل الحديدية لم تزل تشده إلى الأرض هو ورفاقه، وكان ينظر في دهشة بالغة إلى حراس السجن

[1] نجيب الكيلاني: في الظلام، ص 181.

والميهمنين عليه وقد أقبلوا عليه مهنئين بانتصار الحق، ودحر الملك وحاشيته حتى لكأن« **فرحات**» هو الثائر الأول.. ما معنى ذلك؟ أهكذا أنهار البناء الكبير الشامخ الذي كانت تحوطه العيون، وتسوره السيوف والرماح؟؟ أهكذا بسرعة انفض السامر، وانجلت الحقيقة، ومات الزيف والخوف والغرور؟؟ وهذا ما أشار إليه الكاتب في قوله« لقد تألقت نخبة قانونية، للنظر في القضايا السياسية، وتغريد العفو عما ليستحق ..

– من قال ذلك؟؟

– صحف اليوم، إنه أمر طبيعي[1].

لقد انتهت تلك الفترة بظلامها وآلامها .. إن ميعاد قرار النخبة القانونية للإخراج عنهم سوف يصدر بعد أيام قليلة.

وحينما وقف الأصدقاء الثلاثة « **فريد**» و « **فرحات** » و« **بسطويسي**» وغيرهم خلف باب الليمان الكبير بعد أن صدر أمر الإفراج عنهم، كانت جموع المسجونين غير السياسيين يشعيونهم بنظرات حزينة، ومع ذلك فقد كانوا يلوحون لهم من بعيد بأيديهم العجفاء وهم ينشرون بعض العبارات التي تنفطر لها الدموع:

– مع السلامة يا رجالة..

– ابقوا افتكرونا..[2]

ولم يستطع الأصدقاء الثلاثة أن يجففوا دموعهم، فقد انفتح الباب الكبير المؤدي إلى العالم الواسع، فوجدوا أنفسهم بين طوفان من الأهل والأصدقاء والزغاريد والعناق، وعبارات التهنئة والترحيب الحار، وأضواء آلات التصوير..

وأخيرًا انطلق كل واحد من الأصدقاء إلى داره ..ومع خطواتهم المتباعدة وعواطفهم الجياشة، يحسنون بشيء لسحرى غامض يجذبهم ويجمعهم عند نقطة واحدة، إنها ذكريات الأيام القاسية الرهيبة، وقصة القيود العاتية التي أذابتها حرارة الإصرار والإيمان..

---

[1] نجيب الكيلاني: في الظلام، ص 237.

[2] نجيب الكيلاني: في الظلام، ص 340.

خاتمة

في خاتمة هذا البحث توصلت إلى جملة من النتائج التي تقيّم البحث من الجانب النظري والتطبيقي، ولعل أهم النتائج المتوصل إليها في الجانبين هي:

– تمثل رواية "في الظلام" للروائي **نجيب الكيلاني** في عينة من هذا الحراك الأدبي التي حاولت من خلالها الوقوف على مواقع تمظهر الإيديولوجيا وكيفية انشغالها في الرواية من خلال تجسيدها لفكرة الصراع الإيديولوجي.

– إنّ مفهوم الصراع الذي يعتبر ظاهرة كونية طبيعية ناتجة عن عدم التفاهم والانسجام بين الأفراد والأشياء، من الأسباب المؤدية له من بينها تضارب المصالح، واختلاف الثقافات وكذلك العوامل النفسية كمسبب رئيسي.

– أنّ مفهوم الإيديولوجيا مفهوم معقد ومتعدد، وقد اكتسب عدة مفاهيم أثناء تطوره، وانتقل من المفهوم السلبي كوعي زائف إلى المفهوم الإيجابي للدلالة على وعي الطبقات الاجتماعية.

–أنّ الإيديولوجيا في الرواية تختلف عن الرواية كإيديولوجيا، لأن الإيديولوجيا في الرواية تكون متصلة بصراع البطل مع الأبطال الآخرين، وتكون هنا كخاصية جمالية يستعملها الراوي في روايته، أمّا الرواية كإيديولوجيا فهي إقحام للإيديولوجيا في النص الأدبي وهي عبارة عن آراء وتصورات للكاتب التي يحاول طرحها بواسطة الصراعات وإيديولوجيات الشخصيات المتقابلة.

–اتضحت السياقات الإيديولوجية في الرواية" **في الظلام**" بواسطة نوعين؛ السياق النفعي الذي ظهر في الشخصيات التي تبحث عن إقامة جمهورية مستقلة، بالإضافة إلى فلسفاتها الفكرية النفعية، أماّ سياق الرفض والتغيير فاتضح من خلال نقطتين أساسيتين، رغبة المرأة في تغيير واقعها، وكذلك تحقيق القضية والسعي إلى النشاط المسلح .

تجلى الصراع الإيديولوجي في الرواية بأنواعه الثلاث، النفسي الذي يعد ظاهرة من أبعاد حياة الإنسان الميتافيزيقية والنفسية،أما الاجتماعي فهو ذلك الصراع الذي يحدث بين الأفراد

والجماعات حيث يسعى كل طرف للقضاء على الآخر وتدميره من أجل تحقيق أهدافه وغاياته. وكذلك تناولت الصراع السياسي لمعرفة البنى والأفكار الإيديولوجية داخل الرواية.

ومن خلال هذا العرض لأهم النتائج التي توصل إليها البحث، يمكنني القول أنّ الرواية تستوعب الإيديولوجية بشكلين، كخاصية جمالية، وكعنصر بنائي في العمل الأدبي، كتوظيف قصدي أو كإقحام لها، وهي في هذا الشكل الثاني يجعل الرواية كأداة يستعملها الروائي ليبث أفكاره وإيديولوجياته، وليست كإبداع فني وأدبي .

آمل أن أكون في هذه الدراسة قد وفقت في إزالة بعض الغموض الذي يلف موضوع علاقة الإيديولوجيا بالأدب.

ملحق

1/التعريف بالكاتب:

اسمه الكامل نجيب عبد اللطيف بن إبراهيم الكيلاني، الذي ولد في حزيران في عام 1931م بقرية " **شرشابة** " تحت مركز فتي بمحافظة الغربية مصر.وكان يعمل أبوه عبد اللطيف الكيلاني في الزراعة حيثُ كانت أمه من أسرة الشافعي الكبيرة الشهيرة في القرية التي تهتم بتعليم أبنائها في المدارس الحديثة والأزهر.

حصل الكيلاني على تعليمه الابتدائي في قريته ثم التحق بالمدرسة الأمريكية الابتدائية في قرية سنباط، أكمل الكيلاني تعليمه الثانوي في عام 1949م بمدينة طنطا عاصمة محافظة الغربي[1] وبعد ذلك ذهب إلى جامعة القاهرة فالتحق بكلية طب القصر العيني في عام 1951م لكن تم اعتقاله في عام 1955م عندما كان في السنة النهائية بالكلية، وبعد إطلاق السراح له في عام 1959م، رجع إلى الكلية وأكمل شهادته في مجال الطب في عام 1960م.

2/روايات الكيلاني: لنجيب الكيلاني ما يزيد من ثمانين كتاباً في القصة والرواية ونجد رواياته اكثر جودة من الناحية الفنية.

- الطريق الطويل
- النداء الخالد
- رأس الشيطان
- ملكة العنب
- نور الله
- قاتل حمزة
- عمالقة الشمال
- عمر يظهر في القدس

[1] محمد سيف الرحمان: إسهامات الدكتور نجيب الكيلاني في الأدب العربي الإسلامي، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب لاهور-باكستان، العدد الرابع والعشرون،2017،ص286-287.

- أهل الحميدية
- عذراء جاكرتا
- نابليون في الأزهر/ مواكب الأحرار.

3/من مجموعاته القصصية الشهيرة:

- عند الرحيل
- العالم الضيق
- موعدنا غدًا
- الكابوس
- حكايات طبيب
- دموع الأمير
- فارس هوزان

4/دواوينه الشعرية:

ألف الدكتور الكيلاني بصنع الدواوين الشعرية ومنها:

- عصر الشهداء
- كيف ألقاك ؟
- مهاجر
-" نحو العلاء"
- أغاني الغرباء
- مدينة الكبائر، وغيره.

نرى أن الدكتور نجيب الكيلاني يميل إلى الشعر ويذكر أبياتاً مختلفة في سيرته الذاتية إلا أنه لم يؤلف أعمالاً قصصية ملحمية شعرية كثيرة ولكن يحمل الموهبة المزدوجة قدرة الشعر وقدرة القصة.

5-الجوائز التي نالها الكيلاني:

نال الدكتور نجيب الكيلاني بعدة جوائز في مجال الطب والقصة القصيرة والرواية وأبرزها هي:

فازت روايته الأولى" **الطريق الطويل** " جائزة وزارة التربية، وشرتها وزارة الثقافة والإرشاد أنذاك، فصور الكيلاني فيها الأمراض والظروف الاجتماعية السيئة والغلاء في مصر[1].

* فاز كتابه (**إقبال الشاعر الثائر**) في 1957م جائزة التراجم والسير.

* فاز بعدد من جوائز وزارة التربية والتعليم في عام (1958)، حيثُ فاز كتابه (**شوقي في ركب الخالدين**) وفازت روايته (**في الظلام**) وفاز كتابه (**المجتمع المريض**) بجوائز.

* فازت روايته " **قاتل حمزة** " جائزة مجمع اللغة العربية في السبعينات وتم إخراج فيلم سينمائي على هذه الرواية باسم " **ليل وقضبان** " حيث فاز الفيلم بالجائزة في مهرجان طشقند الدولي كما قدم إليه الرئيس الباكستاني صنياء الحق ميدالية الشاعر العلامة أقبال الذهبية بسبب كتبه الكثيرة عن هذا الرجل[2].

6-خدماته العلمية:

بدأ **الكيلاني** العمل في مستشفى أم المصريين في الجيزة، بعد إكمال دراساته من كلية الطب بالقصر العيني ثم نُقل إلى قريته **شرشابة**. وعمل هناك كطبيب في القسم الطبي.

كما عمل لعضو مؤسس لرابطة الأدب الإسلامي (وهو من مؤسسي رابطة الأدب الإسلامي) [3]ومستشارًا وزير الصحة بالإمارات العربية لمدة عشر سنوات ومدير التثقيف الصحي بوزارة الصحة حتى تقاعد في عام 1992م .

---

[1] نادر أحمد عبد الخالق: الشخصية الروائية بين علي أحمد باكتير ونجيب الكيلاني، دراسة موضوعية وفنية، العلم والإيمان للنشر والتوزيع، ط1، 2009،ص69.

[2] محمد سيف الرحمان: إسهامات الدكتور نجيب الكيلاني في الأدب العربي الإسلامي، ص296.

[3] محمد سيف الرحمان: المرجع السابق، ص 288.

وفي آخر حياته أصيب بمرضه حيثُ بقي في المستشفى بمدينة الرياض، والمرض اشتد به لفترة طويلة وهو لا يعرف خطورة لأن أخفتها زوجته..

فعاد الدكتور الكيلاني إلى وطنه مصر حيث قضى الأيام الأخيرة وهو يصارع المرض حتى انتقل إلى رحمة الله في عام 1415هـ ودفن في مصر .

ملخص رواية" في الظلام"

تبدأ الرواية بوصف الظلام الموحش الرهيب، استهل به **نجيب الكيلاني** روايته وصفاً ونقلاً للصورة كما هي، فوصف الصراع وكيف كان الأحرار يقاسون الأهوال داخل الأسوار وخارجها!...

" **في الظلام**" رواية تحصلت على جائزة وزارة التربية والتعليم والتي كانت تحاكي الواقع المرير والصراع الذي تكبده الشعب المصري في عهدة الملك فاروق من ظلم واستبداد.

الرواية تحكي قصتين:

القصة الأولى: بطلها " **فريد الحلواني**"، يعيش في قرية **شرشابة** بمحافظة الغربية في مصر، متحصل على الشهادة التوجيهية، ثم التحق بكلية الحقوق، فسارع إلى الحصول على وظيفة مدرس في إحدى المدارس الأولية بالقاهرة إلى جانب عمله كطالب في الكلية ليحقق العبء الثقيل على أمه " **حميدة**" التي تعمل " **غسالة**" و " **أبوه الحلواني**" الذي يعمل فراشاً في المدرسة الأولية بالقرية منذ سنوات.

" **فريد الحلواني**" الذي كان برفقة مجموعة من الشباب الثوار الذين كانوا ضد الملك وظلمه وضد الملكية المستبدة،" **عبد المجيد**" صديقه الحميم ومخبأ أسراره كلها،" وفرحات السروجي" **وبسطويسي**" الذي كان دارساً في الأزهر الشريف، كانوا دائماً يلتقون في منزل أحدهم ليرسموا خططهم حول كيفية الانقلاب والتنسيق مع مختلف الجهات لذلك، فقد كان هدفهم هو جمهورية ديمقراطية وليس ملكية ظالمة.

هم شبان متعطشون للحرية، ورافضون للظلم والاضطهاد هم ثوار ضد الاستعمار، الذي عانته مصر في الفترة الممتدة ما بين 1947–1952م فهي فترة اهتزاز في القيم واضطراب في المفاهيم...وارتباك في شتى الشؤون السياسية والاجتماعية والوجدانية...فترة قلق وحيرة.

القصة الثانية: هي العلاقة العاطفية بين " **فريد ونهيرة**" الفتاة الجميلة التي يعشقها كل رجال قرية **شرشابة**، وكان أول لقاء بينهما على شاطئ تلك الترعة الصغيرة وهما لا يزالان طفلين يلعبان ويعبثان مع الأطفال، وإنّ كان فريد يكبرها بعامين اثنين، وكان اللقاء الثاني وهما

طالبان في مدرسة الإرسالية الأمريكانية الابتدائية" **بسنباط**" تتعلق **نهيرة** بفريد وتعجب به بعد أَنّ كانت لا ترى في الزوج سوى الشخص ذو النفوذ الذي يصرف على المنزل ويقوم بدوره الرجولي كالباقين ليس لها هدف ولا بغية في الحب، فقد غيرت كل آرائها بشأن الزواج والحب، فقد نشأت علاقة حب بينهما اتسمت بالاحترام والشغف وأحياناً الغيرة التي كان يتسم بها **فريد** جداً، رغم الحقد والحسد الذي أضمره له رجال القرية فكيف لرجل بسيط أَنّ تحبه أجمل فتيات المنطقة؟!.

" **عبد الرحمان أفندي**" "مدرس في مدرسة **شرشابة** الأولية" وحاصل على شهادة الكفاءة وقد سبق له أَنّ طلب يد" **نهيرة**" لأنه كان مغرماً بها حد الجنون لكنها كانت ترفضه دائماً، لكنه دائماً ما يتقرب من والداها ليكسب مودته وذلك بتوفير ما يحتاجونه فهو ثري ومكانته مرموقة في المنطقة،فقد كان يستفزني كقارئة أحياناً حين يتعمد إغاضة **فريد** أمام والدها الذي لم يكن يرى في " **فريد**" ذلك البسيط الرجل المناسب لها عكس " **عبد الرحمان**"، كما أنه كان يلفق الإشاعات والأكاذيب كي يبعدهما عن بعض، لأن فريد لم يتفق معه على صورة ترضيه وعلى كلاً كان يعتقد أنه كلما زاد الصراع وكثر المنافسون كان هذا مدعاة لإقرار الموضوع وحسمه على صورة ترضيه...

توالت الأحداث ومرضت أخت " **فريد ريحانة**" بمرض خطير ويجب نقلها للمستشفى في العاصمة! وذلك ليس الخبر الوحيد فخطيبته **نهيرة** حامل منه! وذلك حين كان يلتقيان ويرميان الأعراف والخوف عرض الحائط، لم يكن ذلك في الحسبان أبداً ! لكن سرعان ما توفيت أخته في المستشفى، لتصبح حياته جحيماً مظلماً يستطيع القارئ أَنّ يحس حجم المعاناة والأسى الذي اجتاح حياة " **فريد الحلواني**" البسيط، ففي كل جزء من هذه الرواية أحس بحزن دفين بين ثنايا هذه الشخصيات، كيف تكون الحياة قاسية بهذا الشكل!؟ والأقسى من ذلك هو حين ألقت قوات الأمن القبض على **فريد** ورفقائه داخل منزل صديقه " **بسطويسي**" أين كانوا يخططون لانقلاب ضد الملك، خاطر فريد الحلواني ورفقائه بحياتهم ومستقبلهم وعائلاتهم من أجل تحرير بلادهم من الظلم والظلام، لكن بدل الحرية والاستقلال

وجدوا أنفسهم في صراع داخل قضبان السجن الانفرادي وخاصة إذا سيطر القلق على الإنسان وكان ينتظر شيئاً ما... لشيئاً خطيرًا لسوف يحدد مصيره إما إلى السجن وإما إلى عالم الحرية... فشعر " **فريد** بهذا الجو الخانق –هل كان **فريد** ليتصور أن نسق حياته يتقلب رأساً على عقب فيبدله الله **بشرشابة** وأراضيها وسعتها زنزانة؟ ضيقة . وهل خيل إليه يوما ما أن يترك هو الجامعة وطلبتها وأساتذتها، ويأتي هنا كيشقى بوجود السجانين ذات السحنة الصارمة والتعبيرات الغليظة..

فقاموا بتعذيبهم بشتى أنواع العذاب، جلدوا داخل السجن عاملوهم كالحيوانات حتى خارت قواهم...ومات صديقه الحميم" **عبد المجيد**" من هول التعذيب، فارق فريد صديق كفاحه وأخاه، لكن أحياناً تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن، الأحوال السياسية غيرت حياة " **فريد**" فوجد نفسه هو ورفقائه في ورطة عقابها 7سنوات داخل السجن، كما أَنّ **نهيرة** خطيبة فريد أجهضت حملها لأنها تعلم كما يعلم الجميع أن المسجونين السياسيين سيطول بقائهم في السجن فقد كانت أمله الوحيد لتحمل السجن، لكن ذلك لم يدم طويلاً بعد ضغط والديها عليها لتتزوج رغم رفضها لذلك فهي تحبه ولتبقى وفية له ! ولكن للأسف ما هز في نفسي أنها رضخت لطلب والديها المريض لتتزوج بـ" **عبد الرحمان أفندي**" الذي كان ولا زال يتبجح بنفوذه حتى أحد ما أراد فتزوجت به رغماً عنها، وهذا ما زاد أوضاع فريد سوءاً إلى أنّ انتابته نوبة عصبية وأصبح كالمجنون فقد ظن أنها خانته فقد كان العرف السائد هناك أن المرأة تنتظر زوجها ولو بعد لسنوات وتبقى وفية له ! وكان يتجرد من ملابسه ويهتف غداً سأصبح وكيل نيابة" معروف وأتزوج **نهيرة**" ظلام دامس يكتشف حياة هذا التعيس طالب الديمقراطية وطالب" **نهيرة**" بقية حياته !، أسلوب الكاتب وتعبيراته وتشبيهاته تجعلك توقن وتستشعر حقاً حجم الضغط والمعاناة التي تعيشها تلك الشخصية ! لكن سرعان ما انقلب تأسفي أملاً حين أصبح فريد يتعافى من مرضه حين أخذ به لمشفى الأمراض العقلية فمن خلال تواجده هناك حدثت تطورات في البلد، حيثٌ قام الضباط الأحرار بالإطاحة بالملك الظالم وذلك يعني خروجه رفقة أصدقائه من السجن بعد عذاب طال سنوات.

لكن النهاية لهذه الرواية لم تكن كما أردت حقاً، **فنهيرة** الآن بولديها من **عبد الرحمان**، ما يعني استحالة رجوعهما معاً كما كنت أتمنى ، فقد كانت النهاية بدون تفصيل كما لو أراد الكاتب أَنّ يستعجل النهاية، فقصة عاطفية وكفاحية مماثلة أردت أَنّ تنتهي أحسن من ذلك، طبعاً أعجبتني الرواية بواقعيتها وبساطة أسلوبها وعمق كلماتها فحقاً الحياة عبارة عن كهف مظلم للبعض وبستان جميل للبعض الآخر لكن الرابح في النهاية من يصمد ضد تيار الحزن والشقاء لتشرق بعدها شمس الحرية والسعادة.

قائمة

المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم**

أ- المصادر:

1- نجيب الكيلاني: في الظلام، دار الصحوة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2015.

ب- المراجع بالعربية:

1-أمين حافظ السعدني: أزمة الإيديولوجيات السياسية، الهيئة المصرية العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ط2014،1.

2-بكري خليل: الإيديولوجيا والمعرفة، دار الشرق، بيروت، لبنان، ط1، 2002.

3-جهاد عطا الله نعسية: في مشكلات السرد الروائي، قراءة خلافية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د ط، 2001.

4-حميد لحميداني: النقد الروائي والإيديولوجيا، من سوسيولوجيا الواقع إلى سوسيولوجيا النص الروائي، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان،ط1، 1990.

5-حسين عبد المجيد رشوان: الأسرة والمجتمع، دراسة في علم اجتماع الأسرة، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، القاهرة، ط1، 2003.

6-خليفة عبد الرحمان، فضل الله محمد إسماعيل، المدخل في الإيديولوجيا والحضارة، مكتبة سّيان، المعرفة للطباعة والنشر، الإسكندرية، القاهرة،د ط، 2006.

7-الخطيب محمد الكامل: الرواية والواقع، دار الحداثة، بيروت، لبنان، ط1، 1981.

8- رمضان الصباغ: الفن و الإيديولوجيا، دار الوفاء، الإسكندرية، القاهرة، ط1، 2005.

9-سميح أبو مغلي: التنشئة الاجتماعية للطفل، دار اليازوري للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2008.

10- شكري عزيز ماضي: في نظرية الأدب، دار فاس للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط2005،1.

11- عبد الله العروي: مفهوم الإيديولوجيا، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان،ط7، 2003.

12- عز الدين اسماعيل: الأدب وفنونه، دراسة ونقد، دار الفكر العربي، القاهرة، د ط، 2004.
13- عمر عيلان: الإيديولوجيا ونسبة الخطاب الروائي في روايات عبد الحميد بن هدوقة، منشورات جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، د ط، 2001.
14- عمرو عيلان: الرواية والإيديولوجيا- دراسة تطبيقية في رواية عبد الحميد بن هدوقة، جامعة قسنطينة، الجزائر، 1995.
15- نادية عيشور: الصراع التنظيمي بين النظرية والتطبيق، دار بهاء الدين، قسنطينة، ط1، 2008.
16- نادر أحمد عبد الخالق، الشخصية الروائية بين علي أحمد باكثير ونجيب الكيلاني، دراسة موضوعية وفنية، العلم والإيمان للنشر والتوزيع،ط1، 2009.

ج- المراجع المترجمة:

1-تيري ايجلتون: النقد والإيديولوجيا، ترجمة، فخري صالح، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، عمان، 1992.
2-جورج لارين: الإيديولوجيا والهوية الثقافية، الحداثة وحضور العالم الثالث، ترجمة فريال حسن خليفة، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1،2002.
3-ريمون بودون، فرانسو بوريكو، المعجم النقدي لعلم الاجتماع، ترجمة: سليم حداه، ديوان المطبوعات الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، ط1،1986.
4-ريموند ويلز: ترجمة: نعيمات عثمان، طلال أسد، مجلة الكلمات المفاتيح، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2007.

د- المجلات و الدوريات :

1. الأزهر ضيف، جميلة زيدان: نقد نظرية الصراع وإسقاطها على الواقع العربي، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة حامة لخضر، الوادي، العدد20، ديسمبر، 2016.
2. زياد يوسف المعشر: الصراع التنظيمي، دراسة تطبيقية لاتجاهات المروؤسين نحو أساليب إدارة الصراع، المجلة الأردنية في إدارة الأعمال، المجلد الأول، العدد الثاني، 2005.

3. صفاء جميل الجعافرة: أساليب إدارة الصراع التنظيمي وعلاقتها بالإبداع الإداري لدى مديري ومديرات المدارس الحكومية في محافظة الكرك من وجهة نظرهم، دراسات العلوم التربوية، المجلد40، العدد02، 2013.
4. محمد سيف الرحمان: إسهامات الدكتور نجيب الكيلاني في الأدب العربي الإسلامي، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب لاهور-باكستان، العدد الرابع والعشرون،2017.

و- المعاجم والقواميس:

1-ابن منظور الإفريقي: لسان العرب، دار الهادر، بيروت،لبنان، م8، د ط ، 1863.

2- فاروق مداس: قاموس مصطلحات علم الاجتماع، دار مدني، الجزائر، د ط، 2003.

3- الفيروز أبادي: قاموس المحيط، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ج3، ط1، 1999.

4- المنجد الأبجدي: دار الشرق، بيروت، لبنان، ط1976،5.

5- المنجد في اللغة والأعلام، دار الشرق، بيروت، لبنان، ط41، 2005.

هـ - الرسائل الجامعية:

1-رميسة جغوبي: الصراع الإيديولوجي في رواية" ارهابييس " مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الأداب واللغة العربية، تخصص أدب حديث ومعاصر، جامعة بسكرة، الجزائر، 2015/2014.

2- لسليم تيقة: البعد الإيديولوجي في الرواية الجزائرية، رواية الحريق لمحمد ديب نموذجاً، بحث مقدم لتيل شهادة الماجيستير في الأداب، جامعة بسكرة، الجزائر، 2005، 2006.

3- سميرة بلعربي: الصراع السياسي في الجزائر من خلال الصحافة الفرنسية، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه علوم في علم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر03، 2012، 2013.

ي- المواقع الإلكترونية:

سيدة عشتار بن علي: الصراع ودوره في التحول الاجتماعي، الفلسفة، علم النفس.
www.M.ahewar.org/s.asp aid/296149 f-fr=0-

2 -John Stuart Mills essay utilitarianism (1861),utilitarianism, www.Marefa,org

فهرس الموضوعات

إهداء.....

مقدمة.....أ-ج

الفصل الأول: المجال المفهومي للصراع و الإيديولوجيا في الرواية

المبحث الأول: مفهوم الصراع .....

1-لغة.....5

2-إصطلاحا.....5-7

المبحث الثاني: مفهوم الإيديولوجيا.....

1-لغة..... 8-10

2-إصطلاحا.....11-20

المبحث الثالث: الإيديولوجيا و علاقتها بالأدب.....

1-الإيديولوجيا و الأدب.....20-21

2-الإيديولوجيا و الرواية.....22-28

الفصل الثاني: تجليات الصراع الإيديولوجي في رواية "في الظلام"

المبحث الأول: السياقات الإيديولوجية في رواية "في الظلام".....

1-الإيديولوجية النفعية..... 30-36

2-الإيديولوجية الرفض و التغيير.....36-45

المبحث الثاني: تجليات الصراع الإيديولوجي في رواية " في الظلام".....

1-الصراع النفسي.....45-51

2-الصراع الاجتماعي..... 51-60

3-الصراع السياسي..... 61-73

خاتمة.....75-76

ملحق.....78-85

قائمة المصادر و المراجع..... 87-90

فهرس الموضوعات.....

ملخص:

كان الصراع الإيديولوجي في رواية "في الظلام" بارزا في مختلف الأحداث التي سردت، و في مختلف فصولها، مما يجعل عنصر الصراع جليا في كل تفصيلة من هذه الحياة، انطلاقاً من الجانب النفسي، الاجتماعي و السياسي.

و من هذا المنطلق كانت دراستنا الصراع الإيديولوجي في رواية " في الظلام" للروائي نجيب الكيلاني.

الكلمات المفتاحية: الصراع الإيديولوجي، الجانب النفسي، الإجتماعي، السياسي.

abstract :

The ideological conflict was clearly shown in the neval of "in the Darkness" In all of the nevels chapters, that what the conflict lighlighted in every detail of life, Starting from a psychological side , social and political ones . and from this view we decided to indicate this ideological conflict in the novel of in "the Darkness" by Nadjib El kilani.

The key words: The ideological conflict , psychological side , social and political.